دراســـة البلاغـــة
أهدافها وثمارها

الدكتور / صالح بن محمد الزهراني
قسم البلاغة والنقد - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الآمين.

أما بعد:

فإن هذا البحث يهدف إلى وضع تصور مجمل لأهم الفوائد والثمار التي يجنيها الطالب حين يدرس «علم البلاغة».

وهذا البحث جاء في ثلاثة مباحث:

الأول: يقوم على بيان نظرة طائفة من علماء المسلمين الأوائل إلى أهداف دراسة البلاغة وثمارها في جانب الإعجاز البلاغي القرآني، وفي جانب علم التفسير، وعلم أصول الفقه، وفي جانب النقد الأدبي.

والثاني: يقوم على بيان نظرة طائفة من علماء المسلمين المعاصرين إلى أهداف دراسةالبلاغة وثمارها في تلك الجوانب الآنفة الذكر.

والثالث: يقوم على بيان أبرز الأهداف الخاصة من دراسة مسائل البلاغة وفنونها، وذلك باستعراض سريع لفنون علم المعاني، والبيان والبديع، سعياًإلى رسم صورة مجملة لتلك الأهداف الخاصة.

وأخيراً جاءت خاتمة البحث مشتملة على أبرز نتائجه.

وقد كان الدافع إلى كتابة هذا البحث رغبة بعض الناس عن البلاغة وزهدهم فيها، وتساؤل بعض الطلاب عن الفائدة من دراستها:

لماذا ندرس البلاغة؟ ما الأهداف التي نريد تحقيقها من وراء الدرس البلاغي؟ ما الثمرة التي نجنيها في الحاضر والمستقبل؟

وفي ضوء هذا الواقع وإجابةً على هذا التساؤل، كان هذا البحث الذي يسير في المباحث الآتية:

المبحث الأول: نظرة الأوائل إلى أهداف دراسة البلاغة وثمارها:

أولاً : البلاغة وإعجاز القرآن الكريم :

لقد فطن علماء الإسلام إلى أن البلاغة إحدى الوسائل المهمة في الكشف عن إعجاز القرآن البلاغي .

لذا، وجهوا عنايتهم إلى وضع مؤلفات تتحدث عن إعجاز القرآن، وأخرى تشرح فنون البلاغة، وتتخذ من آيات الذكر الحكيم أسمى شواهدها .

والذي دفعهم إلى ذلك هو يقينهم بأن البلاغة وسيلة كبرى ؛ لبيان الإعجاز البلاغي في القرآن .

فمن الثابت لدى علماء الإسلام أن من وجوه إعجاز القرآن الكريم، إعجازه من جهة الفصاحة والبلاغة التي تميز بها، فكان هذا الإعجاز البلاغي من جنس ما اشتهر به العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فجاء التحدي لهم بأن يأتوا بسورة من مثله واقعاً موقعه لكي يتبين للقوم عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن بلاغة وبيانا، فيدفعهم ذلك إلى الإيمان بمنزل القرآن، والاعتراف بنبوة محمد ﷺ .

وقد اتخذ علماء الإسلام الفنون البلاغية التي عُرف بها العرب في كلامهم طريقاً لبيان الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، وكان ذلك بالتوجه إلى بيان أساليب العرب في كلامهم، شعراً وخطابةً، ونثراً، ثم أخْذ نماذج منه ودراستها، لبيان وجوه البلاغة فيها، من المجاز، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، والاستفهام، والإيجاز، والحذف والذكر والسجع، والمقابلة . إلى غير ذلك من فنون البلاغة .

ثم النظر إلى ماجاء في القرآن الكريم من تلك الفنون البلاغية، لبيان مزايا بلاغة القرآن التي فاقت ماعرفه العرب من تلك الفنون [1].

وكان من أوائل علماء الإسلام الذين أدركوا ثمرة دراسة الفنون البلاغية في بيان الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم الجاحظ (- ٢٥٥ هـ) الذي قال في موضع من كتابه « الحيوان » : « ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن، لتعرف بها مابين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة فمنها قوله حيث وصف خمر أهل الجنة : ﴿ **لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ** ﴾ [الواقعة: ١٩] وهاتان الكلمتان جمعتا عيوب خمر الدنيا، وقوله عز وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة ﴿ **لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ** ﴾[الواقعة: ٣٣]، جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني ».

ويذكر الرافعي رحمه الله في كتابه « إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية» أن هذا الكتاب الذي ذكره الجاحظ في كلامه السابق غير معروف، ولابد أن يكون قد ألم فيه بأبواب من الكلام في البلاغة استعان بها الذين جاؤوا بعده [2].

ومن العلماء الأوائل الذين أدركوا ثمرة البلاغة في بيان إعجاز القرآن الكريم، فألّفوا رسائل في الكشف عن المعاني الدقيقة، والإشارات اللطيفة في آيات القرآن الكريم داود السجستاني (-٣١٦هـ) حيث ألف كتاباً أسماه « نظم القرآن » وكذا أبوزيد البلخي أحمد بن سليمان (-٣٢٢هـ) وسمى كتابه «نظم القرآن »، وأبوبكر أحمد بن علي المعروف بابن الإخشيد (-٣٢٦هـ) وسمى كتابه «نظم القرآن » [3].

وقد كان للرماني (-٣٨٦هـ) جهدكبير في إيضاح بلاغة القرآن عن طريق الفنون البلاغية التي ذكرها فهو يرى أن بلاغة القرآن أعلى طبقات البلاغة، فهي بلاغة معجزة. ثم يتحدث عن وجوه من الفنون البلاغية جاءت في القرآن الكريم مبيناً مزاياها. وتلك الفنون هي الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان[٤].

ورأى الخطابي (- ٣٨٨هـ) في رسالته «بيان إعجاز القرآن» أن بلاغة القرآن ترجع إلى جمال ألفاظه، وحسن نظمه، وسمو معانيه، وتأثيره في النفوس.

ومن خلال هذا الرأي أشار إلي بعض فنون البلاغة أثناء كلامه على الآيات القرآنية التي احتوت على بلاغة أعجزت العالمين[٥].

وذهب الباقلاني(- ٤٠٣هـ) في كتابه «إعجاز القرآن» إلى أن القرآن معجز بأسلوبه، ونظمه البديع وألفاظه، وبأثره في النفوس، وإيضاحاً لهذا الوجه البلاغي تحدث عن موضوعات بلاغية كالتشبيه، والتمثيل، والاستعارة البليغة، والمطابقة، والتجنيس، وصحة التقسيم، والالتفات، والاستطراد، والتكرار والمبالغة. واستشهد بآيات كريمة عليها، وبكلام العرب موازناً ومقارناً، ليصل إلى بيان مزايا بلاغة القرآن[٦].

وصرح أبوهلال العسكري (- ٣٩٥هـ) أحد علماء البلاغة المشهورين في مقدمة كتابه «الصناعتين» بأن البلاغة وسيلة كبرى لبيان الإعجاز البلاغي في القرآن حين قال: «إن أحق العلوم بالتعلم، وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جَلّ ثناؤه علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة، وصحة النبوة التي رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدين.

(وقد علمنا) أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ماخصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وماشحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف وضمنه من الحلاوة، وجلله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها، وإنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه، وقصورهم عن بلوغ غايته في حسنه وبراعته، وسلاسته، ونصاعته، وكمال معانيه، وصفاء ألفاظه»[7].

ويرى عبد القاهر الجرجاني (-٤٧١هـ) الذي ألف كتابين كبيرين مشهورين في البلاغة هما : « دلائل الإعجاز » و «أسرار البلاغة » أن علم البلاغة وثيق الصلة بإعجاز القرآن الكريم، لذا « عمد عبد القاهر إلى البحث عن البلاغة، ووجوهها وأساليبها للارتقاء بالذوق البلاغي عند القارئ، ومن ثم ليضع يده على مواطن البلاغة في كل كلام بليغ سواء كان هذا الكلام شعراً أو نثراً أو خطبة، ويبرز وجه الحسن في الكلام من خلال أمثلة مختارة، وبعد ذلك يلتفت من خلال تلك المقدمات والأمثلة إلى إعجاز القرآن الكريم ورأيه في ذلك »[8].

ويشيد عبد القاهر الجرجاني في مطلع كتاب « دلائل الإعجاز» بعلم البيان، فيذكر جملة من فوائده، ويبين أن هذا العلم قد قوبل بالرفض، وسوء الفهم من أناس لم يدركوا فوائده، ولم تظهر لهم خصائصه، ولم يقفوا على أثره في بيان الإعجاز البلاغي في القرآن وفي هذا يقول : « ثم إنك لاترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأبسق فرعاً وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً من علم البيان الذي لولاه لم ترَ لساناً يحوك الوشى، ويريك بدائع من الزهر. والذي لولا تحفيه بالعلوم، وعنايته بها، وتصويره إياها، لبقيت كامنة مستورة. إلا أنك لن

ترى على ذلك نوعاً من العلم قد لقي من الضيم مالقيه. ودخل على الناس من الغلط في معناه مادخل عليهم فيه، فقد سبقت إلى نفوسهم اعتقادات فاسدة، وظنون ردية، وركبهم فيه جهل عظيم، وخطأ فاحش. ترى كثيراً منهم لايرى له معنى أكثر مما يرى للإشارة بالرأس والعين، ومايجده للخط والعقد، يقول إنما هو خبر واستخبار، وأمر ونهي ولكل من ذلك لفظ قد وضع له، وجعل دليلاً عليه فكل من عرف أوضاع لغة من اللغات. وساعده النطق بها. فهو بيِّنٌ في تلك اللغة كامل الأداة »[9].

ثم يبين عبد القاهر أن لعلم البيان دقائق وأسراراً يجهلها كثير من الناس، وتلك الأسرار هي الطريق لمعرفة الإعجاز، فمن لم يدركها لن يتبين له الإعجاز البلاغي في القرآن، يقول: « إن هاهنا دقائق وأسراراً طريق العلم بها الروية والفكر، ولطائف مستقاها العقل، وخصائص معان ينفرد بها قوم قد هُدوا إليها، ودلوا عليها، وكشف لها عنها، ورفعت الحجب بينهم وبينها وأنها السبب في أن عرضت المزية في الكلام ووجب أن يفضل بعضه بعضاً، وأن يبعد الشأو في ذلك، وتمتد الغاية ويعلو المرتقى، ويعز المطلب، حتى ينتهي الأمر إلى الإعجاز وإلى أن يخرج من طوق البشر »[10].

إن الجرجاني في هذه المقولة يؤكد أن من عرف أسرار العربية ولطائفها - وقف على أسرار القرآن ولطائفه التي بلغت حد الإعجاز.

ويذكر عبد القاهر في « دلائل الإعجاز» بعض الفنون البلاغية، وهي الكناية، والاستعارة والتمثيل، والمجاز، والإيجاز، مبيناً أنها الأقطاب التي تدور عليها البلاغة، وأنها من أهم وسائل العلماء، لبيان مزايا بلاغة القرآن يقول في هذا « إنها الأقطاب التي تدور البلاغة عليها، والأعضاد التي تستند البلاغة إليها، والرهان التي تجُرّب فيها الجياد، وهي التي نوَّه بذكرها البلغاء،

ورفع من أقدارها العلماء، وصنفوا فيها الكتب. حتى صار الكلام فيها نوعاً من العلم مفرداً. ولم يتعاط أحد من الناس القول في الإعجاز إلاذكرها، وجعلها العُمَد والأركان فيما يوجب الفضل والمزية، وخصوصاً الاستعارة والإيجاز. فإنك تراهم يجعلونهما عنوان مايذكرون، وأول مايوردون، وتراهم يذكرون من الاستعارة قوله عز وجل ﴿ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾ [مريم: ٤] وقوله ﴿ **وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ** ﴾ [البقرة: ٩٣] وقوله عز وجل﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ** ﴾ [الحجر: ٩٤] وقوله ﴿ **فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا** ﴾ [يوسف: ٨٠] وقوله تعالى ﴿ **حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا** ﴾ [محمد: ٤] وقوله ﴿ **فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ** ﴾ [البقرة: ١٦] ومن الإيجاز قوله تعالى ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ** ﴾ [الأنفال: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿ **وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ [فاطر: ١٤] وقوله ﴿ **فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ** ﴾ [الأنفال: ٥٧] وتراهم على لسان واحد في أن المجاز والإيجاز من الأركان في أمر الإعجاز»[١١].

لقد اتخذ عبد القاهر الفنون البلاغية التي تناولها في كتابه «دلائل الإعجاز» وسيلة لبيان إعجاز القرآن البلاغي الذي لم يكن باللفظ وحده ولابالمعنى وحده ولابالصور البيانية وحدها، وإنما كان بالنظم البديع الذي جاء عليه القرآن الكريم بماحواه من معان سامية وتشريعات عالية، وأخبار ماضية وأخبار آتية.

يقول « إذا سقنا دليل الإعجاز فقلنا: لولا أنهم حين سمعوا القرآن، وحين تُحُدُّوا إلى معارضته سمعوا كلاماً لم يسمعوا قط مثله، وأنهم قد رازوا أنفسهم فأحسوا بالعجز عن أن يأتوا بما يوازيه أو يدانيه، أويقع قريباً منه، لكان محالاً أن يدعوا معارضته وقد تحدوا إليه، وقُرعوا فيه، وطولبوا به، وأن يتعرضوا لشبا الأسنة، ويقتحموا موارد الموت، فقيل لنا: قد سمعنا ماقلتم،

فخبرونا عنهم عما عجزوا ؟ أعن معان في دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول ؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه ؟ فإن قلتم عن الألفاظ فماذا أعجزهم من اللفظ أم مابهرهم منه ؟ فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادي آيه ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام، وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها أويرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق بل وجدوا اتساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور» [١٢].

هكذا يعلن عبد القاهر عن سر الإعجاز البلاغي في القرآن مبيناً أنه يعود إلى مزايا ظهرت في نظمه البديع ؛ ولكي يوضح هذه المزايا تناول بعض الفنون البلاغية كفن التقديم والتأخير في القرآن، والفصل والوصل، والتعريف والتنكير، والقصر والاستعارة وأخذ يبين أسرار هذه الفنون البلاغية وفاقاً لموقعها في نظم القرآن.

ومن الأمثلة التي توضح طريقته في بيان الإعجاز البلاغي في القرآن القائم على جمال النظم، تحليله لجمال الاستعارة في قوله تعالى : « واشتعل الرأس شيباً » [مريم : ٤] يقول : « إن في الاستعارة مالا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته.

ومن دقيق ذلك وخفيه أنك ترى الناس إذا ذكروا قوله تعالى « واشتعل الرأس شيباً » لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة، ولم ينسبوا الشرف إلا إليها، ولم يروا للمزية موجباً سواها هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامهم، وليس الأمر

على ذلك، ولا هذا الشرف العظيم، ولا هذه المزية الجليلة، وهذه الروعة التي تدخل على النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة [١٣].

ثم يبين عبد القاهر أن سر الإعجاز يعود إلى النظم البديع الذي جاء ت عليه الآية فيقول: « خذ لفظ « اشتعل » وأسنده إلى الشيب صريحاً فقل«اشتعل شيب الرأس. أو الشيب في الرأس » ثم انظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة ؟

فإن قلت فما السبب في أن كان « اشتعل » إذا استُعير للشيب على هذا الوجه كان له الفضل ؟ ولم بان بالمزية من هذا الوجه ؟ فإن السبب أنه يفيد مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى الشمول، وأنه قد شاع فيه، وأخذه من نواحيه، وأنه قد استقر به وعم جملته، حتى لم يبق من السواد شيء، أو لم يبق منه إلا مالا يعتد به، وهذا مالايكون إذا قيل: اشتعل شيب الرأس، أو الشيب في الرأس، بل لايوجب اللفظ حينئذ أكثر من ظهوره فيه على الجملة » [١٤].

وابن القيم (-٧٥١هـ) في مقدمة كتابه « الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن» ذكر إجمالاً ثمرة علم البلاغة، وعلم العربية في إدراك فضل القرآن يقول رحمه الله « وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب فعرف علم ا للغة وعلم العربية، وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقاولاتها في مواطن افتخارها، ورسائلها وأراجيزها وأسجاعها، فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله، وفنون البلاغة وضروب الفصاحة، وأجناس التجنيس، وبدائع البديع، ومحاسن الحكم والأمثال، فإذا علم ذلك ونظر في هذا الكتاب العزيز، ورأى ماأودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة، وفنون البيان، فقد أوتي فيه العجب العجاب، والقول الفصل اللباب، والبلاغة الناصعة،

التي تحير الألباب، وتغلق دونها الأبواب، فكان خطابه للعرب بلسانهم، لتقوم به الحجة عليهم ومجاراته لهم في ميدان الفصاحة، ليسبل رداء عجزهم عليهم، ويثبت أنه ليس من خطابهم لديهم، فعجزت عن مجاراته فصحاؤهم وكلَّت عن النطق بمثله ألسنة بلغائهم، وبرز في رونق الجمال والجلال في أعدل ميزان من المناسبة والاعتدال، ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة مايملأ القلوب هيبة، والنفوس خشية، وتستلذ الأسماع وتميل إليه بالحنين الطباع، سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة، عالمة بمايحتويه أو غير عالمة، كافرة بماجاء به أو مؤمنة » (١٥).

إن ابن القيم في هذا الكلام السابق لخص في كلمات جميلة ثمرة البلاغة وأثرها في الوقوف على بلاغة القرآن.

وفي موضع آخر من هذه المقدمة نجده يدعو أولئك الذين يعرضون عن دراسة علم البلاغة - يدعوهم إلى أن يديموا النظر فيها، ليقفوا على دقائق الكتاب العزيز يقول: « ولو أداموا النظر (في علم البيان) والتلمح لمعانيه، لاطَّلعوا من الكتاب العزيز على خفايا تهش لها القلوب، ودقائق تسفر لهم عن وجوه المطلوب، ومن لم يعرف هذا العلم كان عن فهم معاني الكتاب العزيز بمعزل ولم يقم ببعض حقوق المنُزل والمنزِل » (١٦).

وابن خلدون في مقدمته يصرح بأن ثمرة البلاغة « إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن، لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها، وجودة رصفها، وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه» (١٧).

والخطيب القزويني الذي يعد من أشهر مَنْ ألف في البلاغة يلخص في مقدمة كتابه التلخيص أبرز أهدافَ دراسة البلاغة، ويرى أنها التعرف على دقائق العربية وأسرارها، والكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن [١٨].

ثانياً : البلاغة وعلم التفسير :

لم يكن المفسرون غافلين عن أهمية البلاغة في فهم كتاب الله فهما صحيحاً، لأنهم يرونها إحدى الوسائل المهمة في تفسير كتاب الله، والوقوف على أسرار إعجازه، وتوجيه الآيات التي لايمكن حملها على الظاهر [١٩].

فهذا الطبري (- ٣١٠هـ) شيخ المفسرين يقول في تفسيره، « جامع البيان في تفسير القرآن »: « بيد أن الرسول عربي، وأن القرآن نزل بلسانه، فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامهم ملائماً [٢٠].

ثم أخذ الطبري رحمه الله يذكر طائفة من أساليب العرب، وقد نزل القرآن موافقاً لها، وهي « الإيجاز والاختصار، والاجتزاء من الإخفاء بالإظهار، وبالقلة من الإكثار في بعض الأحوال، واستعمال الإطالة، والإكثار والتردد والتكرار، وإظهار المعاني بالأسماء دون الكناية عنها، والإسرار في بعض الأوقات، والخبر عن الخاص في المراد بالعام الظاهر، وعن العام في المراد بالخاص الظاهر، وعن الكناية والمراد منه المصرح، وعن الصفة والمراد الموصوف، وعن الموصوف والمراد الصفة، وتقديم ماهو في المعنى مؤخر، وتأخير ماهو في المعنى مقدم، والاكتفاء ببعض من بعض، وبما يظهر عما يحذف، وإظهار ماحظه الحذف » [٢١].

ثم يعد الطبري أنه سيبين جميع هذه الأساليب في أماكنها التي وردت فيها من كتاب الله بحول الله ومشيئته.

والمتأمل في تلك الأساليب التي ذكرها الطبري، يجد أنها أغلب مسائل علم البلاغة التي يتناولها علماء البلاغة في مؤلفاتهم.

وكان من أوائل علماء المسلمين الذين وجَّهوا عنايتهم إلى تفسير كتاب الله، وأحسُّوا بثمرة البلاغة في شرح كتاب الله الفراء (- ٢٠٧هـ) صاحب كتاب « معاني القرآن » الذي أشار إلى بعض الفنون البلاغية التي وردت في كتاب الله مثل التشبيه، والاستعارة والمجاز والكناية و الاستفهام، وخروجه عن معناه الحقيقي، والانتقال من مخاطبة الشاهد إلى الغائب، والتقديم والتأخير، والحذف [٢٢].

وهذه الأساليب التي ذكرها الفراء في كتابه من أهم مايدرسه البلاغيون في مؤلفاتهم، لذا فإن الصلة بين التفسير والبلاغة صلة قديمة وعميقة.

وأبو عبيدة (-٢٠٨هـ) في كتابه « مجاز القرآن » الذي عُني فيه بالغريب والمجاز، وفسر القرآن بحسب ترتيب السور - أحسَّ بأهمية الفنون البلاغية في إيضاح معاني الآيات ؛ لذا فقد أشار في كتابه إلى التشبيه، والتقديم والتأخير، والإيجاز، والالتفات والاستفهام وخروجه إلى التحقيق والتقرير. والتوكيد والتكرار [٢٣].

وابن قتيبة (-٢٧٦هـ) في كتابه : « تأويل مشكل القرآن » الذي عرض فيه لما خفي عن العامة الذين لايعرفون إلا اللفظ وظاهر دلالته على معناه [٣٦]، أدرك منذ وقت مبكر ثمرة البلاغة وعظيم فائدتها في تفسير كتاب الله.

وقد أولى البلاغة في كتابه عناية كبيرة، إذ رأى فيها خير وسيلة للرد على الملحدين الذين طعنوا في القرآن، وقالوا إن فيه تناقضاً وفساداً في النظم واضطراباً في الإعراب، وبين - رحمه الله - أن هذا الطعن يعود إلى جهلهم

ببلاغة العرب أو بأساليب العرب، وفي هذا يقول : « وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير والحذف والتكرار، والإخفاء والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية والإيضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص مع أشياء كثيرة ستراها في أبواب المجاز »[٢٥].

ولمّا كان بعض الملحدين ركن إلى المجاز، وزعم أنه كذب، وطعن على القرآن بالمجاز - فإن ابن قتيبة ردّ قولهم، وأبطله حين قال : « وأما الطاعنون على القرآن بالمجاز فإنهم زعموا أنه كذب ؛ لأن الجدار لايريد، والقرية لاتسأل، وهذا من أشنع جهالاتهم، وأدلها على سوء نظرهم وقلة أفهامهم، ولو كان المجاز كذباً، وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلاً - كان أكثر كلامنا فاسدا، لأنا نقول : «نبت البقل » « وطالت الشجرة » و « أينعت الثمرة » و«أقام الجبل» و «رخص السعر ». وتقول : « كان هذا الفعل منك في وقت كذا» والفعل لم يكن وإنما كوّن. والله تعالى يقول : « فإذا عزم الأمر» وإنما يعزم عليه، ويقول تعالى : « فماربحت تجارتهم » وإنما يربح فيها، ويقول : «وجاءوا على قميصه بدم كذب » وإنما كذب به. ولوقلنا للمنكر لقوله : «جداراً يريد أن ينقض » كيف كنت قائلاً في جدار رأيته على شفا انهيار : رأيت جداراً ماذا ؟ لم يجد بداً من أن يقول جداراً يهم أن ينقض أو يكاد أن ينقض أو يقارب أن ينقض، وأياً ماقال فقد جعله فاعلاً ولاأحسبه يصل إلى هذا المعنى في شئ من لغات العجم إلا بمثل هذه الألفاظ»[٢٦].

وتحقيقاً للهدف الذي سعى إليه من وراء تأليف كتابه، وهو الرد على أولئك الذين يجهلون بلاغة العرب أو أساليبهم فقد تحدث عن كثير من فنون البلاغة التي لاغنى عنها في فهم كثير من آيات الذكر الحكيم. وتلك الفنون هي : القول في المجاز، والاستعارة، والمقلوب، والحذف، والاختصار وتكرار الكلام والزيادة فيه، والكناية والتعريض ومخالفة ظاهر اللفظ معناه.

لقد أعلن ابن قتيبة في مطلع كتابه قبل أن يتحدث عن هذه الفنون عن الفائدة التي يجنيها من عرف بلاغة العرب حين قال : « وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وماخصّ الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة، والبيان، واتساع المجال ماأوتيته العرب»(٢٧).

والزمخشري (- ٥٣٨هـ) شيخ المفسرين في التفسير البلاغي يبين أثر «علم المعاني» و« علم البيان » في إيضاح معاني الآيات فيقول : « إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، علم التفسير الذي لايتم لتعاطيه، وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتابه «نظم القرآن». فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار، وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن ملك اللغات بقوة لحييه، لايتصدى أحد منهم لسلوك تلك الطرائق، ولايغوص على شئ من تلك الحقائق إلارجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما : علم المعاني، وعلم البيان، وتمهّل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله » (٢٨).

والمتأمل في تفسير الكشاف يجد أن الزمخشري تناول كثيراً من الفنون البلاغية، لأنه يرى فيها وسيلة مهمة لبيان أسرار ولطائف الذكر الحكيم، ومن تلك الفنون التي شرح أغراضها البلاغية أثناء تفسير الآيات: القصر، والوصل والفصل، والتقديم والتأخير، والحذف، والالتفات، والتشبيه، والتمثيل، والمجاز، والاستعارة، والجناس، والطباق إلخ.(٢٩)

وإذا نظرت إلى كلام الزمخشري وهو يبين سر الفصل في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ فِيهِ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ١ - ٢].

- ترى مدى فهم الرجل لبلاغة القرآن يقول: «الٓمٓ» جملة برأسها، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها. «ذلك الكتاب» جملة ثانية. و«لاريب فيه» ثالثة. و«هدى للمتقين» رابعة. وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة، وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا، من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها، وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة.

بيان ذلك أنه نبه أولاً على أنه الكلام المتحدّى به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال، فكان تقريراً لجهه التحدي، وشداً من أعضاده، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب، فكان شهادة وتسجيلاً بكماله، لأنه لاكمال أكمل مما للحق واليقين، ولانقص أنقص مما للباطل والشبهة، ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين، فقرر بذلك كونه يقيناً لايحوم الشك حوله، وحقاً لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثم لم تخلُ كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق، ونظمت هذه النظم السري، من نكتة ذات جزالة، ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو «هدى» موضع الوصف الذي هو «هادٍ» وإيراده منكراً، والإيجاز في ذكر المتقين»(٣٠).

لقد بذل الزمخشري جهداً كبيراً في تفسير القرآن تفسيراً بلاغياً، فكان تفسيره ذا تأثير فيمن أتى بعده من العلماء، والدليل على ذلك أن كثيراً من اللطائف والأسرارالبيانية التي أوردها في « الكشاف » ذكرها الذين أتوا بعده.

ولم يكن علماء البلاغة غافلين عن أهمية البلاغة في تفسير كتاب الله تفسيراً موافقاً لمراد الله، بل كان البحث عن بلاغة القرآن وإعجازه وفهم مراد الله من كلامه دافعاً إلى وضع تلك المؤلفات التي تشرح الفنون البلاغية، وتتخذ من كتاب الله الشاهد البلاغي الرفيع.

لذا، عاب عبد القاهر الجرجاني - شيخ البلاغيين - في كتابه « دلائل الإعجاز» على من يتعاطى التفسير بغير علم بالوسائل التي تعينه على تفسير كتاب الله، ومنها علم البلاغة، وفي هذا يقول: « ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم ن يتوهموا أبدا في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك، ويبطلوا الغرض، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف، وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه، وجعلوا يكثرون في غير طائل، هناك ترى ماشئت من باب جهل قد فتحوه، وزند ضلالة قد قدحوا به» (٣١).

وابن ناقيا البغدادي (-٤٨٥هـ) الأديب والبلاغي الكبير فطن في كتابه الفريد: « الجمان في تشبيهات القرآن » إلى الأثر الكبير لفن التشبيه، في إيضاح تشبيهات القرآن وعرضها، فكان بذلك مصدراً مهما في دراسة التفسير و البلاغة والأدب الرفيع ومادة طريفة يقرأها الدارس فيحس بجو روحي تضيفه آيات الكتاب الحكيم، ويشعر أنه في رحاب أدب خالد (٣٢).

وأبو يعقوب السكاكي (٦٢٦هـ) الذي لخص العلوم العربية تلخيصاً بارعاً في كتابه : « مفتاح العلوم » يرى أنها وسيلة مهمة ، لفهم مراد الله من كلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

بل يرى أن دراسة البلاغة واجبة على المفسر حيث يقول : « الواقف على تمام مراد الحكيم - تعالى وتقدس - من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين - المعاني والبيان - كل الافتقار ، فالويل كل الويل لمن يتعاطى التفسير وهو فيهما راجل » [٣٣] .

وفي موضع آخر يبين ثمرة العلم بالبلاغة في تفسير كتاب الله ، وأثر الجهل بها في تناول بعض الآيات حيث يقول : « لا علم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأ منهما - المعاني والبيان - على المرء لمراد الله تعالى من كلامه ولا أعون على تعاطي تأويل مشتبهاته ، ولا أنفع في إدراك لطائف نكته وأسراره ، ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه . وهو الذي يوفي كلام رب العزة في البلاغة حقه ، ويصون له في مظان التأويل ماءه ورونقه ، ولكَمْ آية من آيات القرآن تراها قد ضيمت حقها ، واستلبت ماءها ورونقها أن وقعت إلى من ليسوا من أهل هذا العلم ، فأخذوا بها في مآخذ مردودة وحملوها على محامل غير مقصودة ، وهم لا يدرون أنهم لا يدرون ، فتلك الآي من مآخذهم في عويل ، ومن محاملهم في ويل طويل ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً» [٣٤] .

والأديب الكبير ، و البلاغي الشهير ضياء الدين بن الأثير (٦٣٧هـ)صاحب كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر الذي ألفه لأسباب منها : التجديد في البيان بذكر ضروب منه وجدها في غضون القرآن [٣٥] . حيث تناول في كتابه آيات كثيرة بالشرح الأدبي والبيان البلاغي .

ذلك أنه أدرك الأثر الكبير، والفائدة العظمى، التي يجنيها دارس البيان، وهو يتأمل آيات القرآن، فيقف على أسراره ولطائفه. لقد تناول ابن الأثير في كتابه «المثل السائر» آيات كثيرة بروح العالم البلاغي المثقف بثقافة عربية واسعة، فجاء تناوله لها إضافة مهمة في تفسير القرآن تفسيراً بيانياً واعياً(٣٦).

انظر على سبيل المثال تحليله لسر الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢٢].

تجد شرحاً بلاغياً جميلاً إذ يقول: «فإنه إنما صَرَفَ الكلام هاهنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة، وهي أنه ذكر لغيرهم حالهم، ليعجِّبهم منها كالمخبر لهم، ويستدعي منهم الإنكار عليهم، ولو قال حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة، وفرحتم بها، وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة، وليس ذلك بخاف على نَقَدة الكلام» (٣٧).

ويمضي ابن الأثير على هذا النحو من التحليل الدقيق للالتفات في آيات أخر فيقول: - مبيناً سر الالتفات من الغائب إلى المخاطب في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٨، ٨٩].

- «وإنما قيل «لقد جئتم» وهو خطاب للحاضر بعد قوله: «وقالوا» وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة، وهي زيادة التسجيل بالجراءة على الله تعالى، والتعرض لسخطه، وتنبيه لهم على عظم ما قالوه، كأنه يخاطب قوماً حاضرين بين يديه منكراً عليهم، وموبخاً لهم» (٣٨).

ويحيى بن حمزة العلوي (-٧٤٩هـ) صاحب كتاب « الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز » أدرك ثمرة البلاغة، وأعلن عنها في مقدمة كتابه حين قال : « . . . إن الباعث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة من الإخوان شرعوا عليَّ قراءة كتاب الكشاف تفسير الشيخ العالم المحقق أستاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشري فإنه أسسه على قواعد هذا العلم فاتضح عند ذلك وجه الإعجاز من التنزيل وعرف من أجله وجه التفريق بين المستقيم والمعوج من التأويل، وتحققوا أنه لاسبيل إلى الاطلاع على حقائق إعجاز القرآن إلا بإدراكه والوقوف على أسراره، وأغواره، ومن أجل هذا الوجه كان متميزاً عن سائر التفاسير لأني لم أعلم تفسيراً مؤسساً على علمي المعاني والبيان سواه، فسألني بعضهم أن أملي فيه كتاباً يشتمل على التهذيب والتحقيق »[٣٩].

فالدافع إلى تأليف كتاب « الطراز » الذي تضمن فنوناً بلاغية. . إنما هو الكشف بوساطة البلاغة عن أسرار الآيات القرآنية ولطائفها.

وعبد الرحمن جلال الدين السيوطي (-٩١١هـ) أدرك ثمرة البلاغة في إيضاح معاني القرآن وإعجازه حين ألف كتابه « الإتقان في علوم القرآن » فتحدث فيه عن الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية والتعريض والخبر والإنشاء[٤٠].

ثالثاً : البلاغة وعلم أصول الفقه :

لقد فطن علماء أصول الفقه إلى أهمية البلاغة في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها استنباطاً سليماً، فكان في كتب أصول الفقه بحوث بلاغية واسعة عن الخبر والإنشاء، والحقيقة والمجاز، وبهذا تتحقق الصلة الوثيقة بين علم المعاني وعلم أصول الفقه، وتظهر فائدة كبرى لعلم البلاغة في استنباط الأحكام من أدلة الكتاب والسنة.

وكان من أوائل علماء أصول الفقه الذين أحسوا بأهمية البلاغة في استنباط الأحكام الشرعية الإمام محمد بن إدريس الشافعي (-٢٠٤هـ) حيث أشار في كتاب « الرسالة » إلى مافي القرآن من أساليب العرب حين قال « فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ماتعرف من معانيها ، وكان مماتعرف من معانيها اتساع لسانها ، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما يراد به العام الظاهر ، ويُستغنى بأول هذا منه عن آخره ، وعاماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص ، فيستدل على هذا ببعض ماخوطب به فيه ، وعاماً ظاهراً يراد به الخاص ، وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره .

فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره . وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره ، وتبتدئُ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله ، وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ ، كما تعرف الإشارة ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها ، لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالاتها ، وتسمى الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة ، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة» [٤١].

لقد وعى الشافعي بلاغة العرب في أساليبها ، فانطلق من هذه الأساليب ، لتكون مقدمة لدراسة أصول الفقه ، فوضع لها أبواباً مثل «باب مانزل من الكتاب عاما يراد به العام ويدخله الخصوص» كقوله تعالى : « القرية الظالم أهلها » ؛ لأن كل أهل القرية لم يكن ظالماً [٤٢] . ومثل « باب مانزل من الكتاب عام الظاهر وهو يجمع العام والخصوص » [٤٣] .

و« باب مانزل من الكتاب عام الظاهر يراد به كله الخاص » [٤٤] . ومثل «الصنف الذي يبين سياقه معناه » كقوله تعالى : **﴿ وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ، إذ يعدون في السبت ، إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم**

لايسبتون لاتأتيهم، كذلك نبلوهم بما كانو يفسقون قال الشافعي: «فابتدأ جَلَّ ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: «إذ يعدون في السبت» الآية دل ذلك على أنه إنما أراد أهل القرية، لأن القرية لاتكون عادية ولافاسقة بالعدوان في السبت ولافي غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون»(٤٥).

إن هذه الأبواب التي ذكرها الشافعي يتجلى فيها معرفته بأساليب العرب واطلاعه على اللغة، وقدرته على فهم حقيقتها ومجازها وعامها وخاصها واستنباط الأحكام والأصول. (٤٦).

وأبوحامد محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي (-٥٠٥) وعى ثمرة البلاغة في استنباط الأحكام الشرعية حين تحدث في كتابه: «المستصفى من علم الأصول» عن الحقيقة والمجاز (٤٧) وأسلوب الاستفهام(٤٨) وأسلوب الحصر (٤٩)، والمجمل والمبين والظاهر والمؤول، والأمر والنهي، والعام والخاص. وصرح بأن هذه الموضوعات «ميدان سعي المجتهدين في اقتباس الأحكام من أصولها، واجتنائها من أغصانها» (٥٠).

وأبو الحسن علي بن أبي علي سيف الدين الآمدي (-٦٣١هـ)أدرك ثمرة العربية وبلاغتها حين تحدث في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام» عن المبادئ اللغوية وأنواع اللفظ وحقيقته، والاسم والفعل وأقسامه، والحرف وأصنافه، وحقيقة الخبر وانقسامه إلى صادق وكاذب، ودلالات النظم وهي تسعة: الأمر، والنهي، والعام والخاص، وتخصيص العموم، وأدلة تخصيص العموم، والمطلق والمقيد، والمجمل والبيان والمبين، والظاهر وتأويله. (٥١)

ولعل من المناسب هنا أن نعرض شيئاً من دراسة الآمدي لأسلوب الأمر فقد عرّفه بقوله : هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء [٥٢] . ثم ذكر عدداً من المعاني التي تفيدها صيغة الأمر فرأى أنها تفيد خمسة عشر معنى منها :

- أن يأتي الأمر للوجوب كقوله تعالى : « أقم الصلاة » . [الإسراء : ٧٨]
- وقد يفيد الندب كقوله تعالى « فكاتبوهم » . [النور : ٣٣]
- ويأتي للإباحة كما في الآية (فاصطادوا » . [المائدة : ٢]
- والإنذار كقوله : « تمتعوا »[إبراهيم : ٣٠] والإهانة كقوله « ذق إنك أنت العزيز الكريم»[الدخان : ٤٩].
- كما يفيد الأمر معاني أخر ، كالإرشاد ، والتأديب والتعجيز ، والدعاء ، والامتنان ، والإكرام والتهديد ، والتسخير ، والتسوية و التمني [٥٣] .

إن هذه المباحث التي درسها الآمدي « دليل على أن علماء الفقه وأصوله خاضوا في البلاغة وتعمقوا في فنونها ، واتخذوها سبيلاً يوصل إلى فهم القرآن واستنباط الأحكام الشرعية » [٥٤] .

وبهاء الدين السبكي (-٧٧٣هـ) أوضح الصلة الوثيقة بين علم البلاغة وعلم أصول الفقه حين قال : « واعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل ، فإن الخبر والإنشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الأصول .

إن كل مايتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب ، والنهي للتحريم ، ومسائل الإخبار والعموم ، والخصوص والإطلاق ، والتقييد ، والإجمال والتفصيل ، والتراجيح - كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني ، وليس في أصول الفقه ماينفرد به كلام الشارع عن غيره إلا الحكم والقياس وأشياء يسيرة» [٥٥] .

وابن خلدون في مقدمته يرى أن معرفة اللغة والنحو والبلاغة والأدب «ضرورية على أهل الشريعة ؛ إذ مآخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي لغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة »[٥٦] .

رابعاً : البلاغة والنقد الأدبي :

إذا كان النقد الأدبي هو العلم الذي يرشدنا إلى المنهج القويم للكلام الذي به يرتفع شأنه، وتسمو بلاغته، كما يبصرنا بالغث الردئ من الكلام وبأسباب ذلك - فإن البلاغة فن يرشد إلى عناصر الجمال في الكلام ، كما يرشدنا إلى بيان الفروق الخفية بين صنوف الأساليب [٥٧] .

بل إن البلاغة روح الأدب، والأدب مادتها تبصر بنقده، وتظهر أسرار جماله[٥٨] .

وقد فطن علماؤنا الأوائل إلى هذه الفائدة الكبرى من دراسة البلاغة، فتنبه قدامة بن جعفر (- ٣٣٧هـ) في كتابه نقد الشعر إلى جعل بعض الفنون البلاغية مقياساً لجودة الشعر، ومنها صحة التقسم، وصحة المقابلات، وصحة التفسير، والمبالغة والتتميم، والتكافؤ، و الالتفات [٥٩] .

والجدير بالذكر هنا أن القرن الرابع الهجري « شهد بعض النقاد الذين عاشوا في أواخر القرن الثالث كابن طباطبا العلوي، وقدامة بن جعفر وابن وهب الكاتب، وكان لهؤلاء الثلاثة دور كبير في إرساء قواعد الشعر وأصوله، وشهد كذلك تحول النقد إلى بلاغة على يد أبي هلال العسكري، ويجتمع على أن نقد هؤلاء الأربعة كان معتمداً على فنون البديع والأسس البلاغية التي

وضعت في القرن الثالث، وإليهم يرجع الفضل الأكبر في تطور القيم النقدية ووضع القواعد والأصول» [٦٠].

وكان من أوائل النقاد الذين تنبهوا لثمرة البلاغة في النقد ابن طباطبا العلوي (-٣٢٢هـ) في كتابه «عيار الشعر» والآمدي (-٣٧١هـ) في كتابه «الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري» والقاضي الجرجاني (-٣٩٢) في كتابه «الوساطة بين المتنبي وخصومه».

فقد سعى هؤلاء النقاد إلى الاستعانة بمصطلحات البلاغة وأصولها، وهم يدرسون الشعر، ويوازنون بين الشعراء، وكانت دراساتهم في تلك المؤلفات النقدية تقوم على التطبيق لا على عرض الفنون البلاغية وتعريفها، وتقسيمها [٦١].

وأبو هلال العسكري (-٣٩٥هـ) في كتابه الصناعتين كان من أوائل الكتاب الذين أدركوا ثمرة البلاغة في جانب النقد، فأعلن في مقدمة كتابه أن من فوائد دراسة البلاغة الوقوف على محاسن العربية وأسرار جمالها حين قال: «ولهذا العلم. فضائل مشهورة، ومناقب معروفة، منها أن صاحب العربية إذا أخل بطلبه، وفرط في التماسه، ففاته فضيلته، وعلقت به رذيلة فوته عفى على جميع محاسنه، وعمي سائر فضائله، لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيد، وآخر رديء، ولفظ حسن، وآخر قبيح، وشعر نادر، وآخر بارد بان جهله، وظهر نقصه» [٦٢].

ويذكر أبو هلال في هذه المقدمة أيضاً أن من فوائد دراسة البلاغة إرشاد الأديب إلى الأخذ بأسباب الإحسان حين ينشئ أدبه، وإرشاد راوية الأدب إلى حسن الاختيار في روايته، لأن الأديب إذا أراد «أن يصنع قصيدة، أو ينشئ رسالة، وقد فاته هذا العلم مزج الصفو بالكدر، وخلط الغرر بالعرر، واستعمل الوحشي العكر فجعل نفسه مهزأة للجاهل وعبرة للعاقل» [٦٣].

وابن شيث القرشي في كتابه : « معالم الكتابة ومغانم الإصابة » ذكر أن دراسة البلاغة من الوسائل التي تعين الكاتب ؛ ليكون مجيداً في كتابته وتعين الشاعر ؛ ليكون حاذقاً في شعره، ومن الدلائل على ذلك أنه نبه الكُتاب إلى الإفادة من البلاغة ومن ذلك أنه أرشدهم إلى أحسن السجع حين ذكر أن أحسنه ما توازنت فيه الألفاظ والتزم فيه رصف الكلمة التي يوقف عليها في الكلمة الأخرى التي تطابقها في السجع، وهو نوعان : سجع حال وسجع عاطل. فالسجع الحالي هو كل كلمتين جاءتا في الكلام المنثور على زنة واحدة تصلح أن تكون إحداهما قافية أمام صاحبتها مثل : « يرجعن مأزورات غير مأجورات ». وبمقدار ماتتوازن اللفظتان ويلزم فيهما من تكرار الحروف يكون التبريز في ذلك.

والسجع العاطل هو أن تقابل اللفظة أختها ولاتجمع بينهما القافية، وكثير من الكُتّاب والبلغاء يقصده لخلوه من التكلف، وجريانه على سجية الكلام دون الصنع... [٦٤].

وقبل أن يذكر نعوت الشعر ونعوت النثر أشار إلى أن البلاغة مجموعة في قسمين الأول : أن يكون اللفظ قليلاً وهو دال على معانٍ كثيرة.

والثاني : أن يكون الكلام منطبقاً على المعنى لايفضل عنه [٦٥].

ثم يمضي في كتابه يشرح كثيراً من الفنون البلاغية مبيناً كيف يفيد منها الشاعر والكاتب على نحو بليغ.

وابن الأثير (ضياء الدين) الكاتب الكبير (-٦٣٧هـ) أدرك ثمرة البلاغة حين وضع كتابه : « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » إذْ عَدّ علم البلاغة أو البيان كما يقول وسيلة من الوسائل التي يستعين بها الشاعر والكاتب بعد أن

يتمرن على الكتابة، ويحفظ القرآن الكريم وطرفاً من الحديث النبوي، وروائع من الشعر العربي الرصين [٦٦].

ثم مضى في كتابه هذا يشرح كثيراً من الفنون البلاغية، مبيناً كيف يمكن الإفادة منها إفادة حسنة في صناعة الشعر والنثر، عارضاً شواهد كثيرة من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، وشواهد أخرى من كتاباته في مناسبات مختلفة، وفي مواطن كثيرة من «المثل السائر».

إن ابن الأثير يمتاز بأنه درس البلاغة دراسة نقدية، ألم فيها بكثير من العيوب التي يقع فيها مستعملو تلك الفنون في أشعارهم أو خطبهم أو كتاباتهم.

ويمكن القول: إن ابن الأثير قد جمع في كتابه كثيراً من أصول البلاغة العربية والنقد الأدبي «وأنه وحد هذين الفنين الجماليين ومزجهما، وأعادهما إلى طبيعتهما التي تنفر من الأسلوب القاعدي الجاف، وخلطهما بنصوص من الأدب وآراءٍ فيه، أكثرها جيد ومصيب» [٦٧].

وشهاب الدين محمود الحلبي (-٧٢٥هـ) أدرك في كتابه «حسن التوسل إلى صناعة الترسل» ثمرة البلاغة في صناعة الكتابة فقد أشار في المقدمة إلى أنه ألف كتابه ليكون عوناً للمتأدبين في تعلم الكتابة وإتقانها [٦٨] لذا فقد جعل القسم الثاني من الكتاب في الأمور الخاصة التي تزيد معرفتها قدر الكاتب، ومنها المعاني والبيان والبديع والكتب المؤلفة في إعجاز القرآن، وقد تحدث في هذ القسم عن فنون البلاغة وأعطاها أهمية كبيرة، وصرح بأن الأديب والكاتب العاريين من علم البيان «قاصران عن أدنى رتب الكمال، يجيدان ولايدريان كيف يجيبان، فلو سئل كل منهما عن علة معنى استحسنه، أو لفظ استحلاه، أو تركيب استجاده لم يقدر على الاتيان بدليل على ذلك» [٦٩].

بعد هذه الجولة السريعة مع طائفة من العلماء الأوائل لبيان نظرتهم إلى أهداف البلاغة وثمارها - يمكن إجمال تلك الأهداف العامة عندهم جميعاً في النقاط الآتية :

١- الهدف الديني الماثل - أولاً - في أن البلاغة إحدى الوسائل المهمة في الكشف عن إعجاز القرآن البلاغي على نحو ماصنع الجاحظ في كتابه «نظم القرآن » المشار إليه في كتابه « الحيوان » والذين ساروا على منواله في الحديث عن نظم القرآن في رسائلهم، أمثال داود السجستاني والبلخي، وابن الإخشيد، وعلى نحو ماصنع الرماني في رسالته «النكت في إعجاز القرآن » والخطابي في رسالته « بيان إعجاز القرآن» والباقلاني في كتابه : «إعجاز القرآن ». . . وبعض البلاغيين والعلماء الذين ألفوا في البلاغة بوصفها وسيلة كبرى إلى بيان إعجاز القرآن الكريم مثل أبي هلال العسكري في كتابه «الصناعتين » وعبد القاهر الجرجاني في كتابه « دلائل الإعجاز» وابن القيم في كتابه «الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ».

- الهدف الديني الماثل - ثانياً - في أن البلاغة إحدى الوسائل المهمة في تفسير كتاب الله ، والوقوف على أسرار نظمه، وتوجيه الآيات التي لايمكن حملها على الظاهر ، على نحو ماصنع الطبري في تفسيره «جامع البيان في تفسير القرآن » وغيره من كبار المفسرين الذين لايتسع البحث لذكرهم مثل ابن كثير ، وابن عطية والقرطبي والألوسي والشوكاني والرازي. . وكما فعل أبوزياد الفراء من العلماء المتقدمين في كتابه «معاني القرآن» وأبوعبيدة في كتابه « إعجاز القرآن » وابن قتيبة في كتابه « تأويل مشكل القرآن » والزمخشري في كتابه « الكشاف » وبعض البلاغيين والعلماء الذين ألفو في البلاغة بوصفها

وسيلة مهمة إلى تفسير كتاب الله تفسيراً موافقاً لمراد الله مثل عبد القاهر الجرجاني في كتاب « دلائل الإعجاز» والسكاكي في كتابه « مفتاح العلوم » وابن ناقيا البغدادي في كتابه «الجمان في تشبيهات القرآن» وضياء الدين بن الأثير في كتابه « المثل السائر» ويحيى بن حمزة العلوي في كتابه «الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز » والسيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن » .

الهدف الديني الماثل - ثالثاً - في أن البلاغة إحدي الوسائل المهمة في استنباط الأحكام الشرعية من أدلة الكتاب والسنة على نحو ماصنع الشافعي في كتابه « الرسالة » وأبو حامد الغزالي في كتابه « المستصفى من علم الأصول » وأبو الحسن علي الآمدي في كتابه « الإحكام في أصول الأحكام » وغير هؤلاء من علماء الأصول .

٢ - الهدف النقدي الماثل في أن البلاغة وسيلة من وسائل الكشف عن محاسن الكلام وأسرار جماله ، أو هي نقد يعين على بيان محاسن الكلام ويكشف عن عيوبه على نحو ماصنع النقاد أمثال قدامة بن جعفر في كتابه « نقد الشعر » الذي جعل فيه بعض فنون البلاغة مقياساً لجودة الشعر ، . وكذا ابن طباطبا العلوي في كتابه « عيار الشعر » والآمدي في كتابه « الموازنة » والقاضي الجرجاني في كتابه « الوساطة » الذين استعانوا بالبلاغة في نقد الشعر والموازنة بين الشعراء . . . وعلى نحو ما صنع أبوهلال العسكري في كتابه « الصناعتين » الذي اعتمد في نقده على فنون البديع ، وأسس البلاغة . وبعض الكتاب الذين يرون البلاغة من الوسائل التي تبصر بنقد الكلام ، وتعين على إجادته ، وتظهر أسرار جماله كأمثال ابن الأثير في كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » وشهاب الدين الحلبي في كتابه «حسن التوسل إلى صناعة الترسل » .

المبحث الثاني: « نظـرة العلماء المعاصرين إلى أهداف «البلاغة وثمارها »:

تلك النظرات الصائبة من علماء الإسلام الأوائل إلى أهداف دراسة البلاغة - لم تكن غائبة عن أعين المعاصرين من علماء المسلمين، وهم يدرسون البلاغة ويؤلفون فيها، أو يتحدثون عنها وعن إعجاز القرآن ولا أستطيع في البحث الإحاطة بمن تحدث عن البلاغة من المعاصرين فهم كثر، ولا بما قالوا فيها، فلقد قالوا كثيراً، ولكن سأعرض مايمكن عرضه وفقاً لطبيعة هذا البحث. ولعل مصطفى صادق الرافعي صاحب كتاب « إعجاز القرآن والبلاغة النبوية » من أوائل المعاصرين الذين دافعوا عن لغة القرآن وبلاغته، فهو يشير في مقدمة كتابه « إعجاز القرآن » إلى أهم ثمار دراسة البلاغة وهي ترسيخ الإيمان ببلاغة القرآن وإعجازه وتفوقه، حين رد على الذين يتحاملون على القرآن بسبب جهلهم باللغة وأسرار البيان قال: « دع جهلهم باللغة وأسرار البيان، فهو السبب الحق الذي ضل بهم، وجعلهم يرون القرآن كلاماً من الكلام، يجرون عليه الحكم الذي يجري على غيره، كما يظن الجاهل الذي ليس في نظره معان عقلية - كل صورة كلكل صورة، وكل حصاة ككل جوهرة.

لا يعلمون - أصلحهم الله - أن استقرار القرآن وهو شريعة وأخبار وآداب، هو بعض أدلة إعجازه، بل أقواها بل دليلها الزمن المنسحب على الزمن. (٧٠)

وفي موضع آخر من هذه المقدمة يؤكد على أن الوعي باللغة العربية وبلاغتها يجعل الإنسان العربي يلتقي ببلاغة القرآن، ويدرك ثمرتها، فيوقن

بإعجاز القرآن، قال : « وهنا معنى دقيق بديع، فإن الأديان إنما كانت على النبوات، ولم يأت دين من الأديان بمعجزة توضع بين أيدي الناس يبحث فيها أهل كل عصر بوسائل عصرهم غير الإسلام، بما أنزل فيه من القرآن، فكأن النبوة في هذا الكتاب متجددة أبدا يلتقي بروحها كل من يفهم دقائقه وأسراره، فلا يلبث البليغ الذي يفهم القرآن - ولو لم يكن من أهله المؤمنين به- أن يستيقين في نفسه أنه حارس على اللغة، ثم يغلو في هذا اليقين فإذا هو قد أوحت إليه نفسه أنه ليس حارساً على اللغة العربية فحسب، ولكنه كذلك من حراس المعجزة » [٧١].

ثم يأخد الرافعي في كتابه « إعجاز القرآن» في الحديث عن أوجه الإعجاز في القرآن، ويرى أن الإعجاز البلاغي في القرآن يظهر جلياً من خلال نظمه البديع بما يشمله من الحروف والكلمات والجمل [٧٢] المتناسقة ذات الجرس الجميل. ويضرب مثلاً لذلك قوله تعالى : ﴿ ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ﴾ قائلاً : « فتأمل هذا التركيب، وأمعن ثم أمعن على تأمله، وتذوق مواقع الحروف، وأجر حركاتها في حس السمع، وتأمل مواضع القلقلة في دال (ولقدْ) وفي الطاء من (بطشتنا) وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى واو (تماروا) مع الفصل بالمد كأنها تثقيل لخفة التتابع في الفتحا ت، إذا هي جرت على اللسان، ليكون ثقل الضمة عليه مستخَفّاً بعد، ولتكون هذه الضمة قد أصابت موضعها، كما تكون الأحماض في الأطعمة، ثم ردد نظرك في الراء من (تماروا) فإنهـــا ماجاءت إلامساندة لراء (النذر) حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه انتهى إليها من مثلها، فلاتجفو عليه ولاتغلظ، ولاتنبو فيه، ثم اعجب لهذه الغنة التي سبقت الطاء في نون (أنذرهم) وفي ميمها، وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في (النذر) .

ومامن حرف أو حركة في الآية إلا وأنت مصيب من كل ذلك عجباً في موقعه والقصد به . وإنما تلك طريقة في النظم قد انفرد بها القرآن » [٧٣] .

ومحمد رشيد رضا ، وهو يعرض كتاب « إعجاز القرآن » للرافعي - بين أهمية المحافظة على اللغة العربية وآدابها وبلاغتها حين قال « وقد نبتت في مصر نابتة من الزنادقة الملحدين في آيات الله ، الصادين عن دين الله ، وقد سلكوا في الدعوة إلى الكفر والإلحاد شعابا جددا ، وللتشكيك في الدين طرائق قدداً ، منها الطعن في اللغة وفصاحتها وجحود ماروي عن بلغاء الجاهلية من منظوم ومنثور ، وقذف رواتها بخلق الإفك وشهادة الزور ، ودعوة الناطقين باللسان العربي المبين ، إلى هجر أساليب الأولين ، واتباع أساليب المعاصرين .

ومنهم الذين يدعون إلى استبدال اللغة العامية المصرية بلغة القرآن المخصوصة المضرية ، والغرض من هذا وذاك صد المسلمين عن هداية الإسلام وعن الإيمان بإعجاز القرآن ، فإن من أوتي حظاً من بيان هذه اللغة ، وفاز بسهم رابح من آدابها حتى استحكمت له ملكة الذوق فيها ، لايملك أن يدفع عن نفسه عقيدة إعجاز القرآن ببلاغته وفصاحته وبأسلوبه في نظم عبارته ، وقد صرح بهذا من أدباء النصرانية المتأخرين الأستاذ جبر ضومط مدرس علوم البلاغة بالجامعة الأمريكانية في كتابه « الخواطر الحسان » [٧٤] .

وفي موضع آخر ينقل السيد محمد رشيد رضا كلاماً جميلاً لأستاذه الإمام الشيخ محمد عبده حين تحدث عن بلاغة القرآن ، وكيف نستطيع إدراكها قال : « فَهْمُ كتاب الله تعالى بمعرفة ذوق اللغة ، وذلك بممارسة الكلام البليغ » وقال أيضاً «إن لكلام الله تعالى أسلوباً خاصاً يعرفه أهله ومن امتزج القرآن بلحمه ودمه ، وأما الذين لايعرفون منه إلا مفردات الألفاظ وصور الجمل فأولئك عنه مبعدون» [٧٥] .

وسيد قطب يعد من أعظم المعاصرين الذين أدركوا ثمرة البلاغة وأثرها في إيضاح بلاغة القرآن، فله في هذا الجانب آثار عظيمة تحدث من خلالها عن مزايا أسلوب القرآن وقوة تأثيره في النفوس.

من تلك الآثار كتاب « التصوير الفني في القرآن » الذي سلك المؤلف فيه طريقة تقوم على تحليل بعض الآيات واستخراج عناصر الجمال فيها، كما أنه أبرز في هذا الكتاب قاعدة أساسية من قواعد الأسلوب القرآني في نقل المعاني الذهنية، هي قاعدة التصوير، التي شرحها بقوله : « إن حقيقة جديدة تبرز لي أن الصور في القرآن ليست جزءاً منه يختلف عن سائره إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل، القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض فيما عدا غرض التشريع بطبيعة الحال » (٧٦).

وقال في موضع آخر من الكتاب « والأمثلة على هذا الذي نقول هي القرآن كله، حيثما شاء أن يعبر عن معنى مجرد، أو حالة نفسية أو صفة معنوية، أو نموذج إنساني، أو حادثة واقعة أو قصة ماضية، أو مشهد من مشاهد القيامة أو حالة من حالات النعيم والعذاب، أو حيثما أراد أن يضرب مثلاً في جدل أو محاجة، بل حيثما أراد هذا الجدل إطلاقاً، واعتمد فيه على الواقع المحسوس و المتخيل المنظور . . . » (٧٧).

وإليك المثال الذي يوضح هذا التصوير الفني في القرآن للمعاني الذهنية كما أورده سيد قطب :

« يقال : إن أعمال الذين كفروا لاحساب لها ولاوزن، وأنهم يخدعون أنفسهم حين يظنونها شيئاً، أو أنهم في ضلال دائم، لامخرج لهم منه، ولاهادي لهم فيه، فيؤدَّى إلى الذهن حيث يركد هناك.

ولكنه يحيا ويتحرك، ويجيش به الحس والخيال حين يُؤدّى في هذه الهيئة التصويرية ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠].

هنا صورة فنية ساحرة، فيها روح القصة، وفيها تخييل قوي. وهي بعد في حاجة إلى ريشة مبدعة، لو أريد تصويرها بالألوان، وإلى عدسة يقظة، لو أريد تصويرها بالحركات.

بل أين هذه الريشة، أو أين هي العدسة، التي تستطيع أن تبرر هذه الظلمات. (في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها).

أو تصور الظمآن، يسير وراء السراب « حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » ووجد مفاجأة عجيبة، لم تكد تخطر له على بال - « وجد الله عنده » وفي سرعة خاطفة تناوله « فوفاه حسابه » !

فإذا ذكرنا الغرض الديني الذي رسمت له هذه الصورة، فلنذكر معه المتاع الفني الطريف، في هذا لتصوير الحي الجميل » (٧٨).

وقد حرص سيد قطب على إبراز هذا التصوير الفني في القرآن الكريم من خلال كتابه النفيس « مشاهد القيامة في القرآن » ومن خلال تفسيره القيم « في ظلال القرآن »

والدكتور محمد عبد الله دراز يعد من المعاصرين الذين أدركوا ثمرة البلاغة وأثرها في بيان الإعجاز البلاغي في القرآن، فقد ألف كتاباً قيما هو النبأ العظيم، تناول فيه بلاغة القرآن وإعجازه، وذكر فيه ثلاثة أوجه من الإعجاز : وهي الإعجاز اللغوي، والإعجاز العلمي، ، والإعجاز الإصلاحي التهذيبي الاجتماعي، وامتاز بنظرات جديدة في استخراج الأسرار البلاغية في القرآن[٧٩].

وبدأ بالحديث عن الإعجاز اللغوي أو البلاغي في القرآن وقبل أن يفصل القول في ذلك نصح من كان عنده شك في بلاغة القرآن « أن يطيل النظر في أساليب العرب وأن يستظهر على فهمها بدراسة طرف من علوم الأدب، حتى تستحكم عنده ملكة النقد البياني، ويستبين له طريق الحكم في مراتب الكلام وطبقاته. ثم ينظر في القرآن بعد ذلك »[٨٠]. ثم أكد نصيحته بقوله :

« وأنا له زعيم بأن كل خطوة يخطوها في هذه السبيل ستزيده معرفة بقدره، وستحل عن نفسه عقدة من عقد الشك في أمره إذ يرى هنالك أنه كلما ازداد بصيرة بأسرار اللغة، وإحساناً في تصريف القول، وامتلاكاً لناصية البيان، ازداد بقدر ذلك هضماً لنفسه، وإنكاراً لقوته، وخضوعاً بكليته أمام أسلوب القرآن. وهذا قد يبدو لك عجيباً، أن يزداد شعور المرء بعجزه عن الصنعة بقدر ماتتكامل فيها قوته، ويتسع بها علمه، ولكن لاعجب، فتلك سنة الله في آياته التي يصنعها بيديه : لايزيدك العلم بها، والوقوف على أسرارها إلا إذعاناً لعظمتها وثقة بالعجز عنها، ولاكذلك صناعات الخلق، فإن فضل العلم بها يمكنك منها، ويفتح لك الطريق إلى الزيادة عليها، ومن هنا كان سحرةُ فرعون هم أول المؤمنين برب موسى وهارون »[٨١].

وسماحة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور صاحب كتاب « تفسير التحرير والتنوير » - يعد من أشهر المعاصرين الذين أدركوا ثمرة البلاغة وأثرها في إيضاح أسرار الآيات القرآنية، فقد أولى البلاغة في تفسيره عناية كبيرة، وهو يتناول الآيات بالشرح والبيان البلاغي.

لقد أعلن سماحته في مستهل تفسيره القيم عن فائدة البلاغة، وعلوم العربية بعامة في تفسير آيات القرآن حين قال: « إن القرآن كلام عربي، فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربي بالسليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني والبيان»[٨٢].

وأردف قائلاً: « ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير، لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وماتشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز ولذلك كان هذان العلمان يسميان في القديم « علم دلائل الإعجاز » »[٨٣].

وهكذا يؤكد هذا العالم الجليل الذي عاش مع تفسير كتاب الله أكثر من ثلاثين سنة وهو يؤلف تفسيره التحرير والتنوير - يؤكد على أن لعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير، لأنهما وسيلة لإظهار الخصائص البلاغية القرآنية.

بل إنه يرى: « أن مفسر القرآن لايعد تفسيره لمعاني القرآن بالغاً حد الكمال في غرضه مالم يكن مشتملاً على بيان دقائق من وجوه البلاغة في آيه المُفَسرة بمقدار ماتسمو إليه الهمة من تطويل واختصار، فالمفسر بحاجة إلى بَيَان مافي آي القرآن من طرق الاستعمال العربي وخصائص بلاغته، وما فاقت به آي القرآن في ذلك.. ؛ لئلايكون المفسر حين يعرض عن ذلك بمنزلة المترجم لا بمنزلة المفسر »[٨٤].

وعلماء أصول الفقه في العصر الحديث أدركوا ثمرة البلاغة وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

فلو نظرت إلى كتب أصول الفقه الحديثة لرأيتها لاتخرج عما اختطه الإمام الشافعي والأصوليون، ووجدت العناية كبيرة بموضوعات البلاغة وفنونها كالخاص والعام، والأمر والنهي والحقيقة والمجاز والتصريح والكناية[٨٥].

ولعل فيما كتبه بعض المعاصرين دليل على ذلك من أمثال الخضري بك في كتابه « أصول الفقه » ود. عبد الكريم زيدان في كتابه « الوجيز في أصول الفقه» والأستاذ محمد بن ناصر الشثري في كتابه « الأمر : صيغته ودلالته عند الأصوليين » ود. محمود توفيق محمد سعد في كتابه : « دلالة الألفاظ عند الأصوليين ». والأستاذ محمد مصطفى شلبي في كتابه « أصول الفقه الإسلامي ».

والأستاذ أحمد حسن الزيات - يعد من أشهر المعاصرين الذين أدركوا ثمرة البلاغة في صناعة الأدب، ودافعوا عنها أمام الطعنات التي وجهت إليها حين ألف كتابه « دفاع عن البلاغة » وردّ فيها آراء الذين دعوا إلى التخلي عن البلاغة وأساليبها الرفيعة، وهو رد قائم على العرض السليم والنقاش الهادئ والأدلة المقنعة.

والجدير بالذكر هنا بيانه لثمرة البلاغة في صناعة الأدب وهو يتحدث عن البلاغة بين الطبع والصنعة، وبين القواعد والذوق إذ يرى أن الطبع والقريحة لايغنيان في البلاغة عن الفن، وإذا كانت القواعد هي النتائج التي استنبطتها الأذهان القوية من وسائل الطبيعة وطرقها، فإن الشأن في البلاغة يجب أن يكون هو الشأن في سائر الفنون التي اخترعتها الغريزة، وأصلحتها التجربة

ورقاها المران. فعلم البيان هو الجزء النظري من فن الإقناع، والبلاغة هي الجزء العملي منه، هو ينهج الطرق وهي تسلكها، وهو يعين الوسائل وهي تملكها، وهو يرشد إلى الينبوع وهي تغترف منه، ولم يضع الواضعون القواعد البيانية إلا بعد أن رجعوا إلى أصول الأشياء ودرسوا علائقها بالنفس والحس، وعرفوا نتائج هذه العلائق من الألم واللذة، ثم استخلصوا من تجارب العصور المستنيرة النتائج الصحيحة ثم صاغوها قواعد، وقالوا إنها أمثل الطرق لإحسان العمل دون أن يخضعوا قريحتك لها، ولا أن يسمحوا لهواك بالخروج عنها، فإن بين الاستبداد والفوضى نظاماً هو أحق أن يؤثر ويتبع وكذلك الذوق لايمكن أن يكون بغير قواعد طريقاً مأمونة إلى عمل من أعمال الأدب »[٨٦].

ثم بين الزيات بعد ذلك أن البلاغة التي يعنيها، ويدفع عنها هي البلاغة التي تحدى بها القرآن أمراء البيان في عهد كان الأدب فيه صورة الحياة، وترجمة الشعور، وعبارة العقل، هي البلاغة التي لاتفصل بين العقل والذوق ولابين الفكرة والكلمة، ولابين المضمون والشكل. ويرى أن آلة البلاغة هي الطبع الموهوب، والعلم المكتسب، والطبع هو ملكات النفس الأربع، الذهن الثاقب، والخيال الخصب والعاطفة القوية، والأذن الموسيقية، وأقل مايجب على طالب البلاغة درسه هو اللغة والطبيعة والنفس »[٨٧].

والأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني مؤلف كتاب « البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها » قبل أن يتحدث عن فنون البلاغة ذكر الهدف من دراستها حين قال : «والغرض من عرض الباحثين لفنون البلاغة وعلومها، وللمذاهب الأدبية المختلفة، وللأمثلة الأدبية الراقية المقرونة بالتحليل الأدبي والبلاغي، تربية القدرة على الإحساس بعناصر الجمال

الأدبي في الكلام الأدبي الرفيع، وتربية القدرة على فهم النصوص الجميلة الراقية، والقدرة على محاكاة بعضها في إنشاء الكلام، والقدرة على الإبداع والابتكار لدى الذين يملكون في فطرهم الاستعداد لشئ من ذلك » [٨٨].

ولفت الانتباه إلي أن دراسة هذه الفنون لايعني الجمود على مااستُخرج من عناصر الجمال فقال « وليس الغرض من دراسة هذه الفنون والعلوم والمذاهب والنصوص، الجمود في قوالب مااستُخرج من العناصر الجمالية، وماوُضع من قواعد دون اكتساب الإحساس المرهف بمواطن الجمال، لتقديم الأفكار، وصياغة الكلام صياغة أدبية بليغة » [٨٩].

وحذَّر الأديب من أن يكون أسير الصورة الأدبية البلاغية التي درسها فقال: « ومن الخير دواماً لكل كاتب أو منشئ أو شاعر أن يحذر من أن يضع الصورة الأدبية التي درسها بلاغياً أو أدبياً، وينشئ كلامه على قالبها فإذا فعل ذلك أفسد كلامه وشوه روح القاعدة البلاغية أو الأدبية، وإن التزم بصورتها» [٩٠].

هذه الرؤى التي ذكرها الأستاذ عبد الرحمن الميداني جديرة بالتأمل لأنها حددت أهم الثمار التي يجنيها الطالب حين يدرس الفنون البلاغية، وفي الوقت نفسه دَعَتْ الكاتب أو منشئ الأدب إلى الانطلاق بحرية في التعبير عن أفكاره ومشاعره، بشرط عدم الخروج على ضوابط اللغة وأصول البيان.

والدكتور محمد علي سلطاني في كتابه « مع البلاغة العربية في تاريخها » يذكر تعريفاً للبلاغة يتضمن ثمرتها إذ يقول: « البلاغة هي جملة من المقاييس الفنية يعرف بها سمو النص وجماله، أو تخلفه عن مرتبته » [٩١].

ثم يذكر جملة الفوائد التي تحققها دراسة البلاغة في الآتي:

- تعلـــم صناعة الأدب والأداء الرفيع، فتضع قواعد مسبقة، وهذا يتفق ومهمتها التعليمية.
- تسهم في تكوين الذوق وتنميته.
- تبصر بالصفات التي تكسب النصَّ الأدبي رفعة وسمواً، أو تورثه الضعف والتخلف[٩٢] ثم أخذ في بيان مدى الصلة بين البلاغة والنقد فقال: «إن بين البلاغة والنقد تعاوناً وتكاملاً في ميدان الأدب والتذوق والنقد إذلا يقوم أحدهما بدون الآخر، لأن البلاغة ليـــست إلا الصورة النهائية لذوق أمة من الأمم في ناحية من نواحي أدائها الأدبي.

فكل مصطلح بلاغي هو ثمرة ناضجة لقيمة جمالية أثبتت خلودها عبر عصور طويلة فجسَّدها الدارسون في هذا المصطلح، وغدت من تراث الأمة الفني، تُعلَّم للناشئة، وتسهم في تكون أذواقهم وبذلك يتميز ذوق كل أمة بحصيلتها من الثمار البلاغية التي كانت في الأصل إثارات فنية، وقيما جمالية، رضي عنها الذوق العام فعاشت طويلاً فسوّغ لها ذلك أن تدخل في تراث الأمة الفني عن طريق تجسيدها في مصطلح بلاغي.

وبذلك تكون البلاغة وليدة النقد وثمرته الناضجة، يبدأ النقد انطباعاً ذوقياً وملاحظة عابرة، تتسع مع الزمن لتصبح قيمة جمالية ثابتة، تنضم إلى غيرها، لتشكل اتجاهاً نقدياً، فإذا استمر وجود هذه القيمة الجمالية، وتداولتها الأجيال، خلدت في تراث الأمة الفني، وجُسّدت في مصطلح وجيز يسهل نقله إلى الأجيال الصاعـــدة. ذلك هو المصطلح البلاغي»[٩٣].

إن هذا القول الذي ذكره د. سلطاني يبين مدى التلاحم بين البلاغة والنقد، وكيف جاءت القواعد البلاغية والمصطلحات التي ندرسها في علوم البلاغة، ثم أصبحت مقاييس يهتدي بها النقاد في نقدهم حتى عصرنا الحاضر، وهذه ثمرة كبرى للبلاغة في جانب النقد الأدبي.

والدكتور محمد عبدالمطلب في كتابه « البلاغة العربية : قراءة أخرى » وكتابه «هكذا تكلم النص » يرى « أن الدرس البلاغي العربي القديم، كان ذا تأثير بالغ في مسيرة النقد العربي حتى يومنا هذا، ومازالت أغلب أدواته هي عُدة النقد الأساسية، وبخاصة مايتصل بنقد الخطاب الشعري »[٩٤].

ويؤكد في موضع آخر على صلاحية البلاغة القديمة لأداء مهمة نقدية لاتقل أهمية عن الدراسة الأسلوبية الحديثة، فيقول متحدثاً عن تجربته في هذا المجال «الحق أنه منذ اشتغالي بالدرس البلاغي القديم، وأنا معني بربطه بالدرس الأسلوبي الحديث، وهذا الربط أكد لي صلاحية البلاغة القديمة لأداء مهمة نقدية لاتقل أهمية عن الدراسة الأسلوبية، مع بعض الإجراءات التعديلية التي تعطي الأدوات البلاغية طاقة تحليلية قادرة على التعامل مع السطوح والأعماق.

إن هذه العناية قادتني إلى توظيف الأدوات البلاغية في التعامل مع الخطاب الأدبي الحداثي عموماً، والشعري خصوصاً، ومن هنا، كانت محاولة الاقتراب في كتابي (بناء الأسلوب في شعر الحداثة : التكوين البديعي) وإن ظل الاقتراب في إطار الجيل الأول والثاني من شعراء الحداثة. جيل الخمسينات والستينات، وقد أكد لي هذا كفاءة الأدوات البلاغية، وصلاحيتها للتعامل مع الظواهر الحداثية، بل أكد لي أن كثيراً من الدارسين الأسلوبيين والبنيويين لاتفترق أدواتهم عن الأدوات القديمة، إلا في المسميات فحسب، مع إعطاء هذه الأدوات طاقة شمولية بجانب إجراءاتها الجزئية»[٩٥].

والدكتور أحمد مطلوب في كتابه « مناهج بلاغية » يرى أن البلاغة لن تكون صالحة في النقد « إلا إذا استفدنا من كتب البلاغة القديمة كلها، ومن

الدراسات الحديثة، ومن أهمها الدراسات النفسية التي اهتم بها المحدثون اهتماماً كبيراً واستخدموها في النقد »[٩٦].

وفريق من أساتذة الجامعات العربية قبل أن يضع فقرات مناهج البلاغة في الكليات ذكروا مجمل الأهداف العامة من تدريس علوم البلاغة الثلاثة في الآتي :

١ - البلاغة وسيلة كبرى إلى معرفة وجوه إعجاز القرآن الكريم، وطريق إلى فهم أسراره البيانية كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتعريف والتنكير، والتوكيد والقصر، والإطناب والإيجاز، والخبر والإنشاء، والكناية والتشبيه، والأمر والنهي، والاستفهام والنداء والتمني، والفصل والوصل. . . إلخ.

٢ - البلاغة جزء من النقد ؛ لأن مهمتها أن تعلمنا كيف ننشئ الكلام المؤثر في النفس، وتتكفل بتقديم القوانين العامة للاتصال اللغوي، لينقل الإنسان أراءه وأفكاره للناس على أحسن وجه من النظم والأسلوب.

٣ - البلاغة تعلِّم الطالب القواعد والأصول التي تراعى في نظم الكلام ويعرف بها عيوب الكلام في الجملة والكلمة والمتكلم، ليتجنبها، ومواطن الجمال ليستفيد منها.

٤ - البلاغة تعرِّف الطالب من خلال « علم المعاني » كيف يراعي في كلامه مقتضى الحال ويهيئ لكل مقام مقالاً ليكون لكلامه قبول وتأثير.

٥ - البلاغة تعرّف الطالب من خلال «علم ا لبيان » كيف يعبر عن المعاني بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليها، وفي هذا تأكيد للمعنى وإظهاره في صور جميلة ممتعة ومؤثرة.

٦ - البلاغة تعلم الطالب من خلال « علم البديع » المحسنات البديعية (المعنوية واللفظية) التي تزيد الكلام رونقاً وجمالاً وقبولاً في النفس[٩٧].

هذه الأهداف العامة التي ذكرها بعض أساتذة الجامعات العربية إنما هي امتداد لتلك النظرات الصائبة من علماء الإسلام الأوائل والمعاصرين إلى أهداف دراسة البلاغة.

والملاحظ في هذا العصر أن بعض الناس يجهل أهداف دراسة البلاغة وثمارها في جانب الإعجاز القرآني، وفي جانب التفسير، وفي جانب أصول الفقه، وفي جانب النقد الأدبي.

لذا، تراه يهمل دراسة البلاغة، وربما يقف منها موقف الذم.

وهذا الحال يُحتِّم على من يؤلف في البلاغة أو يقوم بتدريسها - أن يلحظ هذه الأهداف العامة، ويذكرها لمن يجهلها، حتى لايكون هناك نفور من دراسة البلاغة، أو إعراض عنها. ويجب من ناحية أخرى على القائمين بتدريس البلاغة في مراحل التعليم المختلفة أن ينبهوا الدارسين على الأهداف الخاصة لكل فن من فنونها.

والأهداف الخاصة من دراسة فنون البلاغة كثيرة جداً، وسنحاول في المبحث الآتي أن نذكر أبرزها والله المستعان.

المبحث الثالث: «الأهداف الخاصة من دراسة مسائل البلاغة وفنونها» :

إن البلاغة بعلومها الثلاثة « المعاني والبيان، والبديع » تُعَرِّف المتكلم والأديب بالأساليب البلاغية المختلفة، وتشرح له خصائصها، وأسرار جمالها، وتدله على الوسائل التي تعينه ؛ ليكون كلامه مطابقاً لمقتضى الحال مع فصاحته.

أولاً : علم المعاني :

إن دراسة أساليب « المعاني » من الخبر ومؤكداته وحالاته، وأسرار تلك الحالات في أسلوب التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والذكر والحذف والقصر والإيجاز والإطناب والفصل والوصل بين الجمل.

ودراسة أساليب الإنشاء من الأمر والنهي والتمني والاستفهام في صورها المختلفة تجعل الطالب يقف على أساليب علم المعاني وأغراضه المختلفة.

إن هذا الوقوف والتأمل في أساليب المعاني وإدراك أسرارها يعينه كثيراً على فهم النصوص واستجلاء جمالها، والتأثر بها عند الكتابة أو الخطاب.

كيف لايصل إلى ذلك وهو يدرس في علم المعاني روائع من أساليب الخبر والإنشاء، فيعرف أسرارها وأغراضها المختلفة.

إنه يدرك من خلال دراسته متى يحسن التقديم، ومتى يحسن التأخير، ولماذا جاء التقديم هنا، ولماذا جاء التأخير هناك [٩٨].

ويدرك متى يحسن التنكير، ومتى يحسن التعريف، ولماذا نُكّر هنا وعُرّف هناك [٩٩].

ويدرك أسرار الحذف والذكر فيقف على بلاغة الحذف في هذه الجملة ويقف على بلاغة الذكر في الجملة الأخرى.

ويستطيع أن يعرف متى يحسن الحذف، ومتى يحسن الذكر، عارفاً بالمقامات والأحوال المختلفة [١٠٠].

ويقف من خلال دراسته علم المعاني على أساليب التأكيد التي جاءت في كلام العرب، وشواهد ذلك، وخصائص كل مؤكد من تلك المؤكدات [١٠١].

إن الدارس لعلم المعاني يدرك من خلال أساليب الفصل والوصل موجبات الفصل والوصل بين الجمل والمفردات، فيدرس ذلك دراسة تطبيقية من واقع النصوص، فيرسّخ في ذهنه تلك الأسرار البيانية التي تحتّم الفصل، وتلك الأغراض البيانية التي تحتم الوصل بين الجمل. بل إنه يقف متأملاً معاني حروف العطف، حتى يضع كل حرف في مكانه اللائق به (١٠٢).

إن هذه المعرفة تقود الدارس إلى الإفادة من كل ماسبق حين يكتب أويقرأ أو ينقد. فيعرف متى يجب الفصل بين الجمل ومتـى لايجوز، ومتى يجب الوصل، ومتى لايجوز.

إن الدارس للإيجاز ليقف مبهوراً أمام تلك الروائع من الأساليب الموجزة سواء في القرآن الكريم أو الحديث الشريف، أو في منظوم العرب ومنثورهم.

فالطالب الذي يقف متفهِّماً سر إيجازها، ووجه بلاغتها يتأثر بها فيحفظ منها ماشاء ويصنع مثلها متى شاء..

إن دراسة الإيجاز تفتح أمام الطالب آفاقاً عديدة، حيث ينطلق منها، في الإفادة من هذا الأسلوب في المواقف المختلفة. ولاينسى مذاهب العرب في التعامل مع أسلوب الإيجاز، فالعرب من تجاربهم الطويلة أدركوا أن الإيجاز يحسن في مواضع، ولايحسن في مواضع أخرى، وقد حددت كتب البلاغة تلك المقامات (١٠٣).

وهكذا يقف الدارس مع الإطناب، فيتعرف على الفائدة منه. ويقف مع صوره في أرقى أساليبه محاولاً الإفادة منه حين يتحدث أو يكتب، ويتفطن لمقاماته التي يحسن الإطناب فيها، والتي ذكرها البلاغيون في كتبهم.. محاولاً تطبيقها (١٠٤).

إن الدارس لعلم المعاني يعود بفائدة كبرى حين يستجلي أساليب الإنشاء الطلبي وغير الطلبي كما أنه يتعرف على معنى الأمر وصيغه التي يأتي عليها، ويتأمل معانيه الثواني في أرقى الأساليب من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وروائع الشعر والنثر [(١٠٥)].

إن أساليب الأمر التي يقف معها ويتذوقها ويكشف عن جمالها تعينه حين يقرأ كتاب الله فيدرك أوامر الله إدراكاً يتناسب مع مراد الله من كلامه، وتعينه حين يقرأ حديث رسول الله فيعلم في ضوء دراسته، وفي ضوء الملابسات المختلفة أن هذا الأمر للوجوب، وذاك للاستحباب أو للإرشاد أو التخيير.

وأسلوب النهي جدير بالدراسة والتأمل لما يحمله من خصائص بلاغية، والطالب حين يدرس هذا الأسلوب فإنه يعرف صيغته التي يأتي عليها، والأغراض البلاغية التي تلفُّ هذه الصيغة، فالنهي لايقصد به مجرد طلب الترك، ولكن قد يقصد به الإرشاد أو الالتماس، أو التوبيخ، أو التهديد[(١٠٦)].

إن هذا الأسلوب قد ورد في القرآن الكريم، وفي أحاديث المصطفى ﷺ، وهو يحمل معاني متعددة يستطيع الدارس لهذا الأسلوب دراسة عميقة تحديد الغرض المطلوب من هذا النهي أو ذاك. ولولا دراسته هذا الأسلوب مااستطاع الوصول إلى المعنى المراد. وأسلوب الاستفهام حافل بالمعاني الثواني، وحافل بتنوع الصيغ ومتميز بشدة التأثير في نفوس السامعين. لذا فإن دراسته تعود على الطالب بفوائد كثيرة، لانستطيع حصرها في هذه الصفحات، ولكن نشير إلى بعضها.

فمن تلك الفوائد التعرف على صيغ الاستفهام التي جرت على ألسنة العرب، وجاءت في القرآن الكريم والحديث الشريف، و في حِكَم العرب وأمثالهم، وفي خطبهم وأشعارهم.

ثم إن هذه الصيغ لها معان أول، ولها معان ثوان، ولن يفهم الطالب هذه المعاني حق الفهم إلا إذا طاف بأساليب الاستفهام، وعرف معانيها وفق ماحدده العلماء من البلاغيين والأصوليين [١٠٧].

إن هذا الإدراك لأساليب الاستفهام يوقف الدارس على أسرارها، ويجعله يعي أهدافها فيما يقرأه من النصوص. وهذا الوعي يجعله يحسن استخدام أسلوب الاستفهام متى شاء. وقبل هذا تنطبع في نفسه الأساليب الراقية التي وقف عليها في الدرس البلاغي.

وأسلوب التمني أحد أساليب الإنشاء الحافل بالمعاني الثواني التي ينبغي الوقوف عليها في ظلال آيات من القرآن الكريم، ومن خلال جوامع كلم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وفي منثور العرب ومنظومها [١٠٨].

إن هذا الأسلوب المؤثر في النفس ينبغي لطالب العلم أن يعرف أسراره ومتي يحسن استعماله ومتى يقبح استعماله. فإذا قرأ الطالب نصاً فيه تمن استذكر تلك الأساليب التي وقف عليها في الدرس البلاغي، وفي ضوئها سيصل إلى كشف القناع عن جمال هذا الأسلوب أو قبحه.

ومن أساليب الإنشاء التي تفيض بالمعاني الثواني أسلوب النداءالذي ورد في القرآن الكريم، وفي الحديث الشريف وفي أشعار العرب وخطبهم.

وهو أسلوب له أدوات متعددة، ولها مقامات كثيرة متنوعة [١٠٩]وطالب العلم يجدر به أن يتعرف على تلك الأدوات واستعمالاتها والأغراض البلاغية في استعمال كل أداة منها. فإذا وقف أمام النص سواء من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف أو الشعر الفصيح، أو الخطب والحكم والأمثال عرف أهداف ذلك النداء واستجلى مغزاه. وإذا ماكتب أو خطب عرف

مقامات النداء فجعل لكل مقام منها مايناسبها من تلك الأدوات، مدركاً متى يحسن النداء ومتى لايحسن.

ومن أساليب المعاني التي يجب الوقوف عندها واستجلاء صورها وأغراضها أسلوب القصر. إن هذا الأسلوب له طرق حددها البلاغيون، وذكروا لها أمثلة من القرآن الكريم ومن الحديث الشريف، ومن الشعر والنثر. كما أنهم بينوا كيف يجئ القصر في كل طريق من تلك الطرق التي أسموها طرق القصر. وفي الوقت نفسه شرحوا أغراض القصر، ومتى يحسن استخدامه، ومتى لايحسن [(١١٠)].

والدارس حين يقف على هذا الأسلوب فإنه يجني فوائد كثيرة منها التعرف على أساليبه من خلال واقع النصوص، وإدراك مرامي القصر في كل أسلوب من أساليبه.

ومع هذا يستجلي الطالب معانيه في آي الذكر الحكيم على ضوء أنواعه التي يرد عليها وفق أحوال المخاطبين، فهناك قصر الإفراد، وقصر القلب، وقصر التعيين، والقرآن نزل حسب الملابسات والأحوال فكان فيه تلك الأنواع الثلاثة. كما أن فيه قصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة، ولكل نوع غرضه البلاغي. ونتيجة لهذا الإدراك يستطيع الدارس الإفادة من هذا الأسلوب حين يكتب أو حين يتحدث أو يقرأ.

ثانياً : علم البيان :

وإذا كان الدارس من خلال مباحث المعاني يقف على روائع الشواهد في ذلك، وأسرار تلك الشواهد، وخصائص تلك الأساليب وأثرها في أداء المعاني.

فإن دراسة صور البيان وهي التشبيه، والاستعارة، والمجاز المرسل، والمجاز العقلي، والكناية تمكّن الدارس من الوقوف على الأساليب العربية الراقية في شتى ضروب البيان التي أشرنا إليها. وهذا الوقوف على صور البيان مع التأمل فيها، والتأثر بها يجعل الدارس قادراً على استجلاء محاسن النصوص الأدبية فضلاً على تذوقها والاستمتاع بها. كيف لايصل الدارس إلى ذلك، وهو يقف في علم البيان على روائع من صور التشبيه، وصور الاستعارة، وصور المجاز المرسل، وصور المجاز العقلي، وصور الكناية، فيدرك متى يحسن التشبيه، ولماذا جئ بالتشبيه هنا، ومالغرض الذي يحققه[111] ويدرك الاستعارة في نصوصها المختلفة، فيعرف متى تحسن في السياق، وما قيمتها في أداء المعنى [112]، ويدرك صور المجاز العقلي، وكيف يضفي جمالاً على النص، ومتى يحسن استخدامه، وماقيمته في أداء المعنى[113].

ويدرك صور المجاز المرسل في نصوص مختلفة، ويقف على جمالها، ويستطيع أن يتبين متى يحسن المجاز المرسل، ومتى لايحسن، وكيف يمكن الإفادة من هذا الأسلوب فى التعبير عن المشاعر والأحاسيس [114].

ويدرك صور الكناية في روائع النصوص ويستجلي جمالها، ويتبين مواضعها التي تحسن فيها، ومتى ينبغي استعمالها[115].

ثالثاً : البديع :

وإذا كان الدارس لفنون المعاني والبيان يقف على روائع الشواهد في ذلك، ويستجلي أسرارها، وخصائصها، وأثرها في أداء المعاني - فإن هناك روائع أخرى من الشواهد جمعها علماء البلاغة، ورأوا فيها حسناً معنوياً وآخر لفظياً وأطلقوا عليها المحسنات البديعية، وجعلوها تحت مسمى «علم

البديع». والدارس لهذه المحسنات كذلك يقف على وجوه الجمال في تلك الشواهد التي حددَّ علماء البلاغة فيها تلك المحسنات، وأطلقوا على كل محسن اسماً يحدد دلالته حسب طبيعته وأثره في النص، وكان من تلك الأسماء: الطباق (١١٦) والمقابلة (١١٧) والمشاكلة (١١٨) والمبالغة (١١٩) والمزاوجة (١٢٠) واللف والنشر (١٢١) والتقسيم (١٢٢) والجناس (١٢٣) والسجع (١٢٤) والموازنة (١٢٥) والمماثلة (١٢٦) وبراعة الاستهلال، وحسن الابتداء، وحسن الختام (١٢٧).

والمتأمل فيما ذكرناه من ثمار علم المعاني والبيان والبديع - يجد أن علم المعاني يهدف إلى:

١ - تعريف الدارسين بالقواعد والأصول التي ينبغي مراعاتها حتى يكون الكلام موافقاً لمقتضى الحال، وفق الغرض الذي ورد فيه. أي «وضعُ المقال في المقام المناسب».

٢ - تعريف الدارسين بالمعاني الثواني لطائفة من الأساليب وبخاصة أساليب الإنشاء.

٣ - تعريف الدارسين بأسرار الكلام، وفنون القول، وأنواع الأساليب التي تدرس في مباحث «علم المعاني» وهي الخبر، وأضربه، وأغراضه، و أساليب التوكيد، وأساليب الإنشاء: وهي الأمر، والنهي، والنداء، والتمني، و الاستفهام، وأساليب التقديم والتأخير، وصور الحذف والذكر، وأسرار التعريف و التنكير، وصور تقييد الجملة، وأساليب القصر، والفصل، والوصل، والإيجاز، والإطناب. بغية الإفادة منها في صناعة القول.

أما علم البيان فإنه يهدف إلى:

١ - تعريف الدارسين بالأساليب البيانية التي تدرس في هذا العلم وهي التشبيه، والمجاز المرسل، والمجاز العقلي والاستعارة.

٢ - توجيه أنظار الدارسين إلى الأغراض البلاغية لكل صورة من الصور البيانية، وبيان أسرارها في النفس.

٣ - تمكين الدارسين - عن طريق هذا العلم - من الوقوف على روائع البيان الذي ورد في كلام العرب شعراً ونثراً، والإفادة منها سعياً إلى الارتقاء بالعمل الأدبي.

وأما علم البديع فإن من ثمار دراسته :

١ - تعريف الدارسين بألوان البديع التي تزين الكلام وتجعله أكثر قبولاً وأشد تأثيراً.

٢- توجيه أنظار الدارسين إلى وجوه الحسن التي تشرق بها تلك الفنون البديعة.

٣ - تمكين الدارسين من الوقوف على مجمل الفنون البديعية التي وردت في كلام العرب شعراً ونثراً بغية الإفادة منها والتأثر بها.

وأخيراً، فإن دراسة هذه العلوم الثلاثة وسيلة مهمة لترسيخ مظاهر الإعجاز البلاغي في القرآن، وطريق إلى فهم ألفاظ القرآن الكريم، ومعرفة أسرار نظمه البديع.

الخاتمة :

بعد تلك الجولات التي أدركنا من خلالها مجمل الأهداف العامة والخاصة من دراسة البلاغة - تتضح أمامنا النتائج الآتية :

أولها : أن دارس البلاغة يريد بدراسة فنونها، وأساليبها المختلفة - أن يقف على بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، فيزداد الذي آمن إيمانا، ولا يرتاب الذي في قلبه مرض وليقول كلٌ باحث عن إعجاز القرآن الكريم : إنه الكتاب المعجز الخالد الذي لايخلق على كثرة الرد، ولاتفنى عجائبه، تنزيل من رب العالمين.

وثانيها : أن دارس البلاغة يريد أن يفهم ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، وأهدافه، ويصل إلى معرفة أسرار تراكيبه، ويقف على جمال تعبيراته ودقة صياغتها. فتستبين ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه في قلبه، ويشرق جمالها أمام ناظريه.

وثالثها : أن دارس البلاغة يريد وقد فهم بلاغة العرب وأساليبهم - أن يكون قادراً على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها استنباطاً سليماً.

ورابعها : أن دارس البلاغة يريد بدراسة فنونها وأفنانها أن يقف على محاسن الكلام ووجوه جماله.

فيكون بهذه الدراسة البلاغية قادراً - وقد وعى محاسن الكلام ووجوه جماله - على تحقيق أهدافه النقدية : مثل التفريق بين الكلام الحسن والرديء، والموازنة بين شتى الأساليب، وإرشاد الأديب إلى طـــرائق البلاغة في القول حتى يسلكها، وإلى مواضع الزلل حتى يحذرها.

وخامسها : أن دارس البلاغة العربية من العرب وغيرهم - يريد بدراسة فنون البلاغة العربية أن يعرف أساليب العرب البليغة، وأسرار تلك

الأساليب، ليكون قادراً - وقد عرف طرائق العرب في التعبير، ومحاسن القول - على إنشاء القول السديد، والكتابة الجيدة فيما يريد، سواء أكان شاعراً أم خطيباً أم كاتباً أم مؤلفاً. . .

وأخيراً نؤكد على أمر مهم أنه في العصر الحاضر زاد اتصال العرب بغيرهم، ونما فساد اللغة بوسائل الإعلام المختلفة، فلامناص، في ظل هذا الواقع من العمل الدؤوب على تعليم أبناء العرب والمسلمين اللغة العربية وبلاغتها؛ ليحافظوا على لغة دينهم، وليفهموا قرآنهم، وليستطيعوا استنباط أحكام شرعهم، وليصبحوا قادرين على التعبير الحسن، والنظم الرائق، والكتابة الجيدة.

هذا، الله الموفق للصواب،،،

هوامش البحث

(١) انظر مباحث في إعجاز القرآن، د / مصطفى مسلم، ص ٦٣ ومناهج بلاغية، د / أحمد مطلوب، ص ١٣ ٠

(٢) انظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي هامش ١٥١، ١٥٢ ٠

(٣) نظر مباحث في إعجاز القرآن، ص ٤١ ٠

(٤) انظر " النكـــت في إعجاز القرآن " للرمـــاني ضمن ثـــلاث رسائل فـــي إعجـاز القرآن، ص ٧٦ ٠

(٥) انظر " بيان إعجاز القرآن " ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٢٤ وما بعدها، ومناهج بلاغية، ص ٤٦ ٠

(٦) انظر إعجاز القرآن للباقلاني، ص ١٦٨، وما بعدها، ومناهج بلاغية، ص ٤٨ ٠

(٧) كتاب الصناعين، ص ٩، ١٠ ٠

(٨) مباحث في إعجاز القرآن الكريم، ص ٨٤ ٠

(٩) دلائل الإعجاز، ص ١٣ ٠

(١٠) دلائل الإعجاز، ص ١٤ ٠

(١١) دلائل الإعجاز، ص ٣٥١، ٣٥٢ ٠

(١٢) دلائل الإعجاز ، ص ٣٦، ٣٧ ٠

(١٣) دلائل الإعجاز، ص ٧٥ ٠

(١٤) دلائل الإعجاز، ص ٧٦ ٠

(١٥) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان،ابن قيم الجوزية، ص ٩ ٠

(١٦) السابق ، ص ١٠، ١١ ٠

(١٧) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٥٢ ٠

(١٨) انظر التلخيص، ص ٢٢، شرح البرقوقي ٠

(١٩) انظر مناهج بلاغية، ص ٥٢ ٠

(٢٠) جامع البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٦ ٠

(٢١) السابق، ج١، ص ٦ ٠

(٢٢) انظر مناهج بلاغية، ص ١٠٠ ٠

(٢٣) انظر مجاز القرآن، ج ١، ص ١٨، ١٩ ومناهج بلاغية، ص ٨٥ ٠

(٢٤) البيان العربي د. بدوي طبانة، ص ٣١ ٠

(٢٥) تأويل مشكل القرآن، ص ٢٠، ٢١ ٠

(٢٦) تأويل مشكل القرآن، ص ١٣٢، ١٣٣ ٠

(٢٧) تأويل مشكل القرآن، ص ١٢ ٠

(٢٨) الكشاف، ج ١، ص ٧ .
(٢٩) انظر مناهج بلاغية، ص ٥٩ .
(٣٠) الكشاف، ج ١، ص ٤٦ .
(٣١) دلائل الإعجاز، ص ٢١١، ٢١٢ .
(٣٢) انظر مناهج بلاغية، ص ١٩١ .
(٣٣) مفتاح العلوم، ص ٧٧ .
(٣٤) السابق، ص ١٩٩ .
(٣٥) انظر المثل السائر، ح ١، ص ٤٧ .
(٣٦) انظر على سبيل المثال : المثل السائر، ج ١، ص ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٦، ٢٧٧، ٤٤٢، ٤٤٣، و ج ٢، ص ١٤٤، ١٤٥، ١٥٣، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ٢١٩ إلى ٢٢٥ و ج ٣ من ص ٣١ إلى ٣٨ .
(٣٧) المثل السائر، ج ٢، ١٩٠، ١٩١ .
(٣٨) المثل السائر ج ٢، ص ١٨٥ .
(٣٩) كتاب الطراز، ح ١، ص ٥ .
(٤٠) انظر مناهج بلاغية، ٣١٢ .
(٤١) الرسالة، ص ٥١، ٥٢ .
(٤٢) السابق، ص ٥٥ .
(٤٣) السابق، ص ٥٧ .
(٤٤) السابق، ص ٦١ .
(٤٥) السابق، ص ٦٢، ٦٣ .
(٤٦) انظر مناهج بلاغية، ص ٦٧ .
(٤٧) المستصفى من علم الأصول، ج٢ ، ص٣٢، ٣٣ .
(٤٨) السابق، ج ١، ص ٣٥، ٣٩ .
(٤٩) السابق ، ج ٣، ص ٤٤٠، ٤٤١ .
(٥٠) السابق، ح ١، ص ٣١٥، وانظر مناهج بلاغية، ص ٦٩ .
(٥١) انظر الإحكام في أصول الأحكام، ج١، ص ١٦ - ١١٢، وج٢، ص ٢ - ٢٠، ١٨٨ وما بعدها، ج ٣، ص ٢ وما بعدها وانظر مناهج بلاغية، ص ٧٠ .
(٥٢) انظر الإحكام في أصول الأحكام، ج ١، ص ٣٦٥ .
(٥٣) انظر الإحكام في أصول الأحكام، ج ١، ص ٣٦٧، وانظر الأمر : صيغته ودلالته عند الأصوليين، ص ٣٣، محمد الشثري .
(٥٤) مناهج بلاغية، ص ٧٠ .
(٥٥) عروس الأفراح - شروح التلخيص، ج١، ص ٥٣ .
(٥٦) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٤٥ .

(٥٧) انظر البلاغة الواضحة، ص ٨ ·
(٥٨) انظر البـــلاغة وعلم النفـــس، ص ١٤٥ ومناهـج تجديد ص ١٨٠ عن مناهـج بلاغية، ص ١٣ ·
(٥٩) انظر نقد الشعر، ص ١٣٩، ١٤١ إلى ١٥٠، وانظر قدامة بن جعفـر والنقـد الأدبي، ص ٣٨٥، د / بدوي طبانة ·
(٦٠) اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص ٤٧ ·
(٦١) انظر مناهج بلاغية، ص ٢١٢ – ٢٢٢ ·
(٦٢) كتاب الصناعتين، ص ١٠ ·
(٦٣) السابق، ص ١٠ ·
(٦٤) معالم الكتابة، ص ٧٠، عن مناهج بلاغية، ص ١٩٤ ·
(٦٥) انظر السابق، ص ٦١، عن مناهج بلاغية، ١٩٣ ·
(٦٦) انظر المثل السائر، ج١، ص ٤٥، وما بعدها ·
(٦٧) مقدمة المثل السائر، ج ١، ص ٣١، ٣٢ ·
(٦٨) انظر مقدمة حسن التوسل إلى صناعة الترسل، ت : أكرم عثمان يوسف، ص ٧١ ·
(٦٩) حسن التوسل، ص ١٠١·
(٧٠) مقدمة إعجاز القرآن، ص ١٢، ١٣ ·
(٧١) السابق، ص ١٤، ١٥ ·
(٧٢) انظر إعـجـاز القـرآن، ص ١٥٦، و ص ٢٠٩، و ص ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، و ص ٢٢٠، ومـا بعدها، و ص ٢٣٦، وما بعدها ·
(٧٣) انظر إعجاز القرآن، ص ٢٢٧، ٢٢٨ ·
(٧٤) مقدمة " إعجاز القرآن " للرافعي، ص ١٨ ·
(٧٥) السابق، ص ٢١ ·
(٧٦) التصوير الفني في القرآن، ص ٩ ·
(٧٧) السابق، ص ٣٧ ·
(٧٨) التصوير الفني في القرآن، ص ٢٤٦، ٢٤٧ ·
(٧٩) انظر النبأ العظيم، ص ٧٩، وما بعدها ·
(٨٠) النبأ العظيم، ص ٨١ ·
(٨١) السابق، ص ٨١ ·
(٨٢) مقدمة تفسير التحرير والتنوير، ص ١٨ ·
(٨٣) السابق، ص ١٩ ·
(٨٤) السابق، ص ١٠٢ ·
(٨٥) انظر مناهج بلاغية، ص ٧٨ ·
(٨٦) دفاع عن البلاغة، ٢٨، ٢٩، ٣٠، وانظر مناهج بلاغية، ص ٣٦٣، ٣٦٦ ·
(٨٧) انظر دفاع عن البلاغة، ص ٣١، ٤٤، ٤٧ ·

(٨٨) البلاغة العربية، ص ١١ .

(٨٩) السابق، ص ١٢ .

(٩٠) السابق، ص ١٢ .

(٩١) مع البلاغة العربية في تاريخها، ص ١٦ .

(٩٢) السابق، ص ٢٠١، ٢٠٢ .

(٩٣) السابق، ص ٢٠٣ .

(٩٤) البلاغة العربية قراءة أخرى، ص ١ .

(٩٥) هكذا تكلم النص، ص ٧ .

(٩٦) مناهج بلاغية، ص ٤١٩ .

(٩٧) انظر مصوراً من مفردات منهج البلاغة في الجامعة الإسلامية .

(٩٨) لتفصيل صور التقديم والتأخير وأغراضهما انظر دلائل الإعجاز ٧٩-١٠١، والتلخيص ٧٤-٩٤، وعلوم البلاغة ٧٩ - ٨٦ وعلم المعاني د. بسيوني ج ١ص ١٥٤ - ١٧٢، ٢٠٢ - ٢٠٣ والبلاغة العربية في ثوبها الجديد د. بكري ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٧، وص ٥٨ - ١٦٠، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٩.

(٩٩) لتفصيل أغراض التنكير انظر دلائل الإعجاز ٢٠٠ - ٢٠٢ والتلخيص ٦٨-٧١، وعلوم البلاغة ١١٥ -١١٨ وجواهر البلاغة ١٣٨ - ١٣٩، وعلم المعاني د. بسيوني ١٣٦ - ١٤٣، ١٩٧ -٢٠٢.

(١٠٠) لتفصيل أغراض الحذف والذكر انظر دلائل الإعجاز ١٠٣ - ١٢١ والتلخيص ٥٣ - ٥٦ وعلم المعاني ج١ د. بسيوني ٩٤ - ١١٠.

(١٠١) للوقوف على أدوات التأكيد وأغراضه انظر دلائل الإعجاز ٢١٨ -٢٣٠، والتلخيص ٧١ البلاغة وفنونها وأفنانها ج١، ص ٧٣ - ٧٩ والبلاغة العربية في ثوبها الجديد ج ١، ٦١ - ٧٢ وجواهر البلاغة ص ٦٠.

(١٠٢) للوقوف على أساليب الفصل والوصل وموجباته وأغراضه انظر دلائل الإعجاز ١٥٧ - ١٧١، والتلخيص ١٧٥ - ١٩٦، والبلاغة فنونها وأفنانها ج١، ٣٠٠ - ٣٤٢، وعلوم البلاغة ١٤٧ - ١٦٥ وجواهر البلاغة ١٩٦ - ٢٠٦.

(١٠٣) للوقوف علي أساليب الإيجاز انظر التلخيص ٢١٤ - ٢٢٠ وعلوم البلاغة ١٦٦- ١٨٨ وجواهر البلاغة ٢٢١ - ٢٢٢ والبلاغة فنونها وأفنانها ج١ ٣٤٥ - ٣٧٠، والبلاغة العربية في ثوبها الجديد ج١ ١٩١ -١٩٨.

(١٠٤) للوقوف على أساليب الإطناب وأغراضه البلاغية انظر التلخيص ٢٢١ - ٢٣٥ وعلوم البلاغة ١٧٣ - ١٨٦ وجواهر البلاغة ٢٢٦ - ٢٣٤،والبلاغة فنونها وأفنانها ج١ ص ٣٧٣ - ٣٩٤.

(١٠٥) للوقوف على أسلوب الأمر ومعانيه الثواني انظر التلخيص ١٦٨ وعلوم البلاغة ٧١ - ٧٤، وجواهر البلاغة ٧٧ - ٨١، والبلاغة في ثوبها الجديد ج١، ١٠٢ - ١٠٩ والبلاغة فنونها وأفنانها ١، ١٠٣ - ١٠٩.

(١٠٦) للوقوف على أساليب النهي ومعانيه الثواني انظر التلخيص ١٧٠ - ١٧١ وعلوم البلاغة ٧٤ -٧٦ وجواهر البلاغة ٨٢ - ٨٥ والبلاغة في ثوبها الجديد ج١، ١٠٩ - ١١٣،والبلاغة فنونها وأفنانها ج١، ١٠٩ -١١١.

(١٠٧) للوقوف على أساليب الاستفهام ومعانيه الثواني انظر التلخيص ١٥٣-١٦٨ وعلوم البلاغة ٦١ - ٧١ وجواهر البلاغة ٨٥ - ٩٢، البلاغة في ثوبها الجديد ج ١، ٨٤ - ١٠٢ والبلاغة فنونها وأفنانها ١، ١١٧-١٤٧.

(١٠٨) للوقوف على أساليب التمني وأغراضه البلاغية انظر علوم البلاغة ٦٠.٦١، وجواهر البلاغة ١٠٣، ١٠٤ والبلاغة في ثوبها الجديد ج ١، ٨١-٨٤، والبلاغة فنونها وأفنانها ج١ ص ١١١ - ١١٦.

(١٠٩) للوقوف على أدوات النداء وأساليبه وأغراضه انظر التلخيص ١٧٢ - ١٧٤ وعلوم البلاغة ٧٦ - ٧٩ وجواهر البلاغة ١٠٥ -١١٦ والبلاغة فنونها وأفنانها ج ١، ص ١٤٧-١٥٢.

(١١٠) للوقوف على أساليب القصر ودلالته انظر دلائل الإعجاز ٢٣٠ - ٢٤٥ والتلخيص ١٣٧ -١٥١ وعلوم البلاغة ١٣٥ - ١٤٧ وجواهر البلاغة ١٧٩ - ١٩٥، والبلاغة في ثوبها الجديد ج١، ١٧٥ - ١٨٤، والبلاغة فنونها وأفنانها ج١، ٢٧٦ - ٢٨٢.

(١١١) للوقوف على أساليب التشبيه وأغراضه انظر أسرار البلاغة ٩٠ - ٢٣٦، والتلخيص ٢٣٨ - ٢٩١،والتصوير البياني د. أبوموسى ٢٥ - ١٧١، وعلوم البلاغة ١٩٤ - ٢٢٦، وجواهر البلاغة ٢٤٧ - ٢٩٠ وعلم البيان، د. عبدالعزيز عتيق ٦١ -١٢٩، والبلاغة العربية في ثوبها الجديد ج٢، ١٥ - ٦١ والبيان في ضوء أساليب القرآن الكريم ٢٣ -١١١.

(١١٢) للوقوف على أساليب الاستعارة وأغراضها انظر أسرار البلاغة ٣٠ - ٨٧، و التلخيص ٣٠٠ - ٣٢٤، وعلوم ا لبلاغة ٢٣٨ - ٢٥٩، وجواهر البلاغة ٣٠١ - ٣٣١، والبلاغة في ثوبها الجديد ج ١، ١١١ - ١٤٣.

(١١٣) للوقوف على أساليب المجاز العقلي وأغراضه انظر دلائل الإعجاز ٢٠٩، وأسرار البلاغة ٣٦٦ - ٣٦٧، والتلخيص ٤٥ - ٥٣، وعلوم البلاغة ٢٧٠ - ٢٧٤، وجواهر البلاغة ٢٩٦ ٣٠١ والبلاغة العربية في ثوبها الجديد ج ٢ ٨١-٩١.

(١١٤) للوقوف على أساليب المجاز المرسل وأغراضه انظر أسرارالبلاغة ٢٩٦ - ٣٩٨، والتلخيص ٢٩٦ -٣٠٠، وجواهر البلاغة ٢٩٢ - ٢٩٦، والبلاغة في ثوبها الجديد ج ص ٩٣ - ١٠٩، وعلم البيان د. عبد العزيز عتيق ١٥٦ - ١٦٦.

(١١٥) للوقوف على أساليب الكناية وأغراضها انظر دلائل الإعجاز ص ٥٤، ص ١٨٤ - ١٨٦، والتلخيص ٣٣٧ - ٣٤٥ وعلوم البلاغة ٢٧٩ - ٢٩٥، وجواهر البلاغة ٣٤٥ - ٣٥٤، والبلاغة في ثوبها الجديد ج٢، ص ٢٠١ - ٢٢١.

(١١٦) للوقوف على أساليب الطباق انظر التلخيص ٣٤٨ - ٣٥٢ وعلوم البلاغة ٢٩٧ -٢٩٩ وجواهر البلاغة ٣٦٦، علم البديع د. عبد العزيز عتيق ٧٦،والبلاغة العربية في ثوبها الجديد ج٣، ٤٢ - ٤٨ وعلم البديع د. بسيوني ٢٧ - ٢٩.

(١١٧) للوقوف على أساليب المقابلة انظر التلخيص ٣٥٢ - ٣٥٤ وعلوم البلاغة ٢٩٩، وجواهر البلاغة ٣٦٧، وعلم البديع ٨٤، و البلاغة العربية في ثوبها الجديد ٥٠ - ٥٣.

(١١٨) للوقوف على أساليب المشاكلة انظر التلخيص ٣٥٦ - ٣٥٨، وعلوم البلاغة ٣٠١، وجواهر البلاغة ٣٧٥، وعلم البديع د. بسيوني ٦٤ - ٧٠.

(١١٩) للوقوف على أساليب المبالغة انظر التلخيص ٣٧٠ - ٣٧٤، وعلوم البلاغة ٣١٣ - ٣١٦، وجواهر البلاغة ٣٨٠، وعلم البديع ٩١ - ١١٢، والبلاغة العربية في ثوبها الجديد ج ٣ ٢٦- ٤٠، وعلم البديع د. بسيوني ٧٠ - ٧٨.

(١٢٠) للوقوف على أساليب المزاوجة انظر التلخيص ٣٥٨، وعلوم البلاغة٣٠٢، وجواهر البلاغة ٢٧٦، وعلم البديع د. بسيوني ١١٥- ١١٦.

(١٢١)- للوقوف على أساليب اللف والنشر انظر التلخيص ٣٦١ - ٣٦٣، وعلوم البلاغة ٣٠٧ وعلم البديع ١٧٥ -١٧٩، وعلم البديع ٨٣ -٨٦.

(١٢٢) للوقوف على أساليب التقسيم انظر التلخيص ٣٦٤ - ٣٦٧ وعلوم البلاغة ٣٠٩، وعلم البديع ١٣٤، وعلم البديع د. بسيوني ٨٧ - ٩٢.

(١٢٣) - للوقوف على أساليب الجناس انظر التلخيص ٣٨٨ - ٣٩٢، وعلو البلاغة ٣٣٠ - ٣٣٤، وعلم البديع ١٩٥ - ٢١٥، والبلاغة العربية في ثوبها الجديد ١٣١ - ١٣٩، وعلم البديع د. بسيوني ١٤٥ - ١٦٦.

(١٢٤) للوقوف على أساليب السجع انظر التلخيص ٣٩٧ - ٤٠٣، وعلوم البلاغة ٣٣٦ - ٣٣٧، وعلم البديع ٢١٥ - ٢٢٤، والبلاغة العربية في ثوبها الجديد ج ٣، ١١٩ - ١٢٧ وعلم البديع د. بسيوني ١٦٧ - ١٨١.

(١٢٥) للوقوف على أساليب الموازنة انظر التلخيص ٤٠٤ وعلوم البلاغة ٣٣٩، وعلم البديع ٢٣٩ - ٢٤١.

(١٢٦) - للوقوف على أساليب المماثلة انظر التلخيص ٤٠٤.

(١٢٧) للوقوف على أساليب حسن الابتداء وحسن الختام انظر التلخيص ٤٢٩- ٤٣٥ وعلم البديع د. بسيوني ١٢٥ - ١٢٨، ١٤٣ - ١٤٥.

فهرس المصادر و المراجع

- **الإتقان في علوم القرآن** - السيوطي، القاهرة ١٣٧٨هـ.
- **اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة**، د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات - الكويت.
- **الإحكام في أصول الأحكام**، الآمدي - دار الكتب العلمية -بيروت.
- **أسرار البلاغة** . عبد القاهر الجرجاني. ت. محمود شاكر ط ١. دار المدنى بجدة.
- **إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية**. الرافعي. دار الكتاب العربي.
- **الأمر : صيغته ودلالته عند الأصوليين**. محمد الشثري. الرياض ١٤٠٨هـ.
- **البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني** الجزء الأول د. بكري شيخ أمين ط١ دار العلم للملايين.
- **البلاغة العربية في ثوبها الجديد**. علم البيان، الجزء الثاني د. بكري شيخ أمين ط ١.
- **البلاغة العربية في ثوبها الجديد**. علم البديع. الجزء الثالث د. بكري شيخ أمين. ط٢.
- **البلاغة فنونها وأفنانها**. د. فضل حسن عباس. ط ١. دار الفرقان.
- **البلاغة العربية أسسها**، وعلومها، وفنونها. عبد الرحمن الميداني، دار القلم. دمشق. ط١, ١٤١٦هـ،
- **البلاغة العربية** : قراءة أخرى. د. محمد عبد المطلب مكتبة لبنان ط ١٩٩٧م.
- **البلاغة الواضحة**. علي الجارم ومصطفى أمين.
- **البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم** د. عبد الفتاح لاشين ط ١ دار المعارف.
- **البيان العربي**. د. بدوي طبانة. ط ٦ مكتبة الأنجلو المصرية.
- **بيان إعجاز القرآن الكريم** . الخطابي. ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم. ط ١٣٨٧٢هـ.

- **تأويل مشكل القرآن**. ابن قتيبة. ط ٢. شرح أحمد صقر.
- **التصوير الفني في القرآن الكريم** سيد قطب، دار الشروق.
- **التصوير البياني**. د. محمد أبوموسى. مكتبة وهبة.
- **تفسير التحرير والتنوير**. محمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.
- **التلخيص في علوم البلاغة**. الخطيب القزويني، شرح البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- **جامع البيان في تفسير القرآن**. محمد بن جرير الطبري. القاهرة.
- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان البديع**. السيد أحمد الهاشمي. ط ١٣٩٨هـ. دار الفكر. بيروت.
- **حسن التوسل إلى صناعة الترسل**. شهاب الدين الحلبي ت : أكرم عثمان يوسف
- **دفاع عن البلاغة**. أحمد حسن الزيات. ط٢ القاهرة.
- **دلائل الإعجاز**. عبد القاهر الجرجاني. ت محمد الداية وفايز الداية. ط١ دار قتيبة.

الرسالة. الإمام الشافعي. ت أحمد محمد شاكر ط١ القاهرة ١٣٥٨هـ.

الطراز. يحيى العلوي. مكتبة المعارف. الرياض. ١٤٠٠هـ. دار النهضة العربية. بيروت.

- **علم البيان**. د. عبد العزيز عتيق ط ١٩٧٤ م دار النهضة العربية بيروت.
- **علم المعاني**.د بسيوني عبد الفتاح بسيوني ط١.
- **علوم البلاغة** : البيان والمعاني والبديع. أحمد المراغي ط١. دار القلم. بيروت.
- **عروس الأفراح** : شروح التلخيص.ط عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.
- **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن**، وعلم البيان. ابن قيم الجوزية. دار الكتب العلمية. بيروت ط٨ ١٤٠٨هـ.

- **قدامة بن جعفر والنقد الأدبي**.د. بدوي طبانة. طبعة ١٣٨٩هـ
- **كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر.** أبوهلال العسكري . ت. مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. الزمخشري. ط(١). ١٤١٥هـ. دار الكتب العلمية. بيروت.
- **مباحث في إعجاز القرآن الكريم.** د. مصطفى مسلم. دار المنارة. جدة. ط١ ١٤٠٨هـ.
- **مجاز القرآن.** أبوعبيدة. ط١ القاهرة.
- **المستصفى من علم الأصول.** الغزالي ت : حمزة حافظ. شركة المدينة للطباعة.
- **معالم الكتابة ومغانم الإصابة.** ابن شيث القرشي. بيروت.
- **مع البلاغة العربية في تاريخها.** د. محمد علي سلطاني. دار المأمون للتراث. دمشق. ط١, ١٩٧٨م.
- **مفتاح العلوم.** أبو يعقوب السكاكي. ط١ القاهرة ١٣٥٦هـ.
- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.** ضياء الدين بن الأثير ت.د. أحمد الحوفي، .د. بدوي طبانة. دار الرفاعي بالرياض.
- **مقدمة ابن خلدون.** عبد الرحمن بن خلدون المغربي. دار الكشاف بيروت.
- **مناهج بلاغية.** د. أحمد مطلوب وكالة المطبوعات ط (١). ١٣٩٣هـ. بيروت.
- **النبأ العظيم** : نظرات جديدة في القرآن. د. محمد عبد الله دراز ط(٦)، ١٤٠٥هـ.
- **نقد الشعر.** قدامة بن جعفر. (ط١) ١٣٩٩هـ.
- **النكت في إعجاز القرآن الكريم.** الرماني. ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم. ط٢. دار المعارف بمصر.
- **هكذا تكلم النص.** د. محمد عبد المطلب. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م.